الفصل الثّاني : ظواهر لغويّة و فنيّة في شعر "سميح القاسم"، شاعر المقاومة.

1- نبذة عن حياة الشّاعر "سميح القاسم".

2- اللّغة في شعر "سميح القاسم"

أ – الألفاظ الدّالة على المقاومة في شعره .

ب – التّكرار.

ج – استخدام الألفاظ العاميّة و الأجنبيّة.

3- التّنـاص :

أ- التّنـاص الدّيني .

ب- التّنـاص الأسطوري .

بعد الحديث عن مكانة شعر المقاومة ، و أهميّته ، وتناول أبرز محطّات الشّعر الفلسطيني المرتبطة بتطوّرات القضيّة الفلسطينيّة، وعرض أهمّ المضامين و الموضوعات المتعلّقة بمختلف أشكال المقاومة لدى الشّعب ، و التي تشكّل مادّة دسمة لشعراء المقاومة . وفي هذا الفصل سيتمّ تسليط الضّوء على أبرز الملامح الفنيّة و اللّغويّة لشعر المقاومة ، وذلك من خلال أعمال الشّاعر "سميح القاسم"، وفي البداية يمكن تقديم نبذة عن حياة الشّاعر"سميح القاسم"، وعن أبرز مميّزاته الأدبيّة و الفكريّة

1-نبذة عن حياة الشّاعر "سميح القاسم":

سميح محمّد القاسم شاعر فلسطيني درزي ، ولد بمدينة الزّرقاء بالأردن ، من أسرة قروية سنة 1939 م ، ثم انتقل مع والديه إلى "الرّامة " ، في الجليل الأسفل حيث ينتمي إلى طائفة عربيّة إسلاميّة فاطميّة درزيّة .

أنهى دراسته الإبتدائيّة في بلدته "الرّامة " بالجليل ، و التحق بثانويّة النّاصرة [1]، عمل بعد تخرّجه في سلك التّعليم ، حيث اشتغل معلّمًا و عاملاً في خليج "حيفا " لكنّه سرّح بسبب شعره ، و انتقل بعد ذلك إلى العمل في قطاع الصّحافة ، حيث أسهم في تحرير مجلّة الغد و الاتّحاد ، ثمّ تولّى رئاسة تحرير مجلّة الغد والاتّحاد ، ثمّ تولّى رئاسة تحرير مجلّة "هذا العالم" عام 1966 م ، ثمّ عاد للعمل محرّرًا أدبيًّا في الاتّحاد ، و سكرتيرًا لتحرير "الجديد" ، ثمّ رئيسًا لها ، كما أسّس سميح منشورات "عربسك " 1973 م ، و تولّى رئاسة المؤسّسة الشّعبيّة للفنون في "حيفا".

[1]- محمد بوزواوي ، موسوعة شعراء العرب ، دار هومه ، الجزائر ، ط 2010 ، ص 410 .

وبرزت اهتمامات سميح الأدبيّة و السّياسيّة في سنّ مبكّرة ، فأسهم في نشاطات المدرسة الثّقافيّة في المسرحيّات [1]، و بدأ نظم الشّعر وهو لم يبلغ العشرين من عمره ، فقصائده "أغاني الدّروب " كتبت بين عامي 1959-1964 ، و هو الدّيوان الثّاني في سلسلة دواوينه [2]، وما أن بلغ الثّلاثين حتّى كان قد نشر ستّ مجموعات شعريّة حازت على شهرة واسعة في العالم العربي ، كتب "سميح " أيضا عددًا من الرّوايات [3].

وباعتباره شاعرًا مناضلًا ، كان جُلّ اهتمامه مُنصبًّا على مأساة وطنه المحتلّ ، فكان شعره يعبّر عن روح الكفاح و المقاومة ، و حبّ الوطن و التّضحية في سبيله ، شأنه شأن جميع الشّعراء الفلسطينيّين .

ومن القضايا المهمّة في مسيرته الشّعريّة ، و التي كان لها تأثير كبير على شعره ، وعلى مراحل تطوّره أنّه لم يثبت منذ بداية حياته السّياسيّة و الفكريّة على مبدأ واحد ، فقد تقلّب حاله حال أقرانه ، تقلّبات عديدة ، حيث بدأ بداية ذات ميول قوميّة ، ثمّ انضوى تحت لواء الحزب الشّيوعي الإسرائيلي (راكاح) ، وظلّ حتّى نهاية الثمانينات حيث ترك الحزب ، ليصبح منذ بداية التّسعينات رئيسًا لتحرير جريدة "كلّ العرب " ، و كتب في هذه الأثناء قصيدة "فلسطين...أوّلا"، وكأنّه بدأ ينحاز إلى المشروع الوطني قبل انحيازه لأيّ مشروع آخر، وأيّد سميح مسيرة السّلام ،

[1]- رقيّة زيدان، التغيّر الدّلالي في شعر سميح القاسم، رسالة ماجستير ، جامعة النّجاح الوطنيّة ، نابلس، فلسطين ، 2001، ص4.
[2]- محمد محمد حسن شراب ، شعراء فلسطين في العصر الحديث ، الأهليّة للنّشر و التّوزيع ، ط1 ، 2006 ، ص 187 .
[3]- سلمى الخضراء الجيوسي ، موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر ، ج1 (الشعر) ، المؤسّسة العربيّة للدّراسات و النّشر ، بيروت ، 1997 ، ص 378 .

وقد انعكست هذه التّقلّبات السّياسيّة و الفكريّة على أشعاره ، حتّى أنّه أخذ يحذف قصائد كانت تنسجم مع مرحلة ، ولم تعد تنسجم مع المرحلة الجديدة[1] .

ومهما كان حال الشّاعر ، فإنّه يبقى من بين أبرز شعراء المقاومة الفلسطينيّة ، و تجدر الإشارة إلى أنّه قد تعرّض للاعتقال و الإقامة الجبريّة أكثر من مرّة .

من مُؤلّفاته في الشّعر :

1- مواكب الشّمس ، سنة 1958 .

2- أغاني الدّروب ، سنة 1964 .

3- دخان البراكين ، سنة 1968 .

4- دمي على كفّي .

5- سقوط الأقنعة .

6- قرقاش.

7- ديوان الحماسة .

8- مراثي سميح القاسم .

9- شخص غير مرغوب فيه .

[1]- عادل الأسطة ،أدب المقاومة، من تفاؤل البدايات إلى خيبة النّهايات ، مؤسّسة فلسطين للثّقافة، دمشق ، ط2 ، 2008 ، ص85.

10- في انتظار الطّائر الرّعد .

11- رحلة الدّاخل و الخارج .

12- قرآن الموت و الياسمين .

13- الموت الكبير .

14- إلهي لماذا قتلتني .

15- أحبّك كما يشتهي الموت.

16- الجانب المضيء من القلب .

17- الجانب الآخر من التّفّاحة[1].

2- اللّغة في شعر "سميح القاسم ":

اللّغة في العمل الأدبي هي الشّكل المادّي الذي يجسّد مشاعر المبدع ، و أحاسيسه ، ويكشف عن أفكاره ومواقفه ، و يتشكّل بها النّص .

حيث يستطيع الشّاعر من خلال اللّغة أن يعبّر عن أفكاره و عواطفه و أحاسيسه ، فهو يحاول أن يختار الألفاظ المناسبة التي تترجم و توضّح ما يجول في خاطره ، فهو يشكّل اللّغة وفق ما تقتضيه نزعته أو توجّهه ، أو القضيّة التي يدافع عنها ، فيصيغها في أسلوب راق ، يَظهر

[1]- محمد بوزواوي ، موسوعة شعراء العرب ، ص411 .

إبداعُ الشّاعر من خلاله ، فقد يدفع الاستخدام الجيّد و جودة الأسلوب إلى التّفرّد ، حتّى و إن كانت الكلمات و الألفاظ و العبارات مألوفة ، إلاّ أن البراعة و التّميّز في طريقة صياغتها ، يقول "عبد المالك مرتاض" : " و إنّا لنقرأ لفظًا في بيت من الشّعر ، ... فيُخيّل إلينا أنّنا نقرأ مثل ذلك اللّفظ ، أو مثل تلك الألفاظ لأوّل مرّة ، و كأنّ ذلك الأديب هو أبو عذريّتها ، وهو أوّل من استعملها و اخترعها ، مع أنّنا كُنّا نعرف ذلك اللّفظ من قبل "[1].

فالشّاعر و إن استخدم اللّغة التي يستخدمها الإنسان العادي ، فإنّه لا يقف عند حدّ الدّلالات المعجميّة التي لا تستطيع نقل مشاعره و أحاسيسه بشكل مؤثّر ، فهو ينقل اللّغة "من بعدها الإشاري التّقريري إلى بعد أعمق لتعبّر بالصّورة و الرّمز"[2]، و يتمّ ذلك عندما يلجأ المبدع إلى استخدام الرّموز اللّغويّة ذات القدرة التّعبيريّة الهائلة ، كما يستخدم اللّغة ليفجّر طاقاتها الفنيّة و ذلك حين يبتعد بمفردات اللّغة من دلالاتها المباشرة و معناها الشّائع إلى معان و دلالات جديدة يغذّيها خياله الخصب و رؤيته الفنيّة المتميّزة للأشياء، و يفجّر المبدع الطّاقة التّعبيريّة في اللّغة لتتّسع

للتّجربة الشّعوريّة المشحونة بعواطفه ، لذا فهو يستخدم الاستعارة و الرّمز للابتعاد عن التّقريريّة و المباشرة [3].

[1]- عبد الملك مرتاض ، في نظريّة الرّواية ، عالم المعرفة ، الكويت ، 1998 ، ص 108 .
[2]- طه وادي ، جماليّات القصيدة المعاصرة ، دار المعارف ، القاهرة ، 1981 ، ص 14 .
[3]- باسل محمد علي بزراوي ، سميح القاسم ، دراسة نقديّة في قصائده المحذوفة ، رسالة ماجستير ، جامعة النّجاح الوطنيّة ، نابلس ، فلسطين، 2008 ، ص 189- 190 .

و بالحديث عن الشّعراء الفلسطينيّين نجد أنّهم قد صاغو تجاربهم الشّعريّة من واقع قضايا وهموم شعبهم ، فعبّروا عن أحلامه و تطلّعاته في كُلّ مرحلة ، و أخذو يسعون إلى تحقيق انسجام بين دور الكلمة ودور البندقيّة، ومالو بشعرهم إلى المباشرة و الخطابيّة ممّا قد يفقده شيئًا من رونقه وجماله الفنّي، لكنّهم بالرّغم من ذلك واكبو التّطوّر الفنّي في القصيدة الشّعريّة الحديثة، وساهموا في بناء تطوّرها اللّغوي و الموسيقي، واختاروا ألفاظهم و صورهم، و أساليبهم من معجم مأساوي[1]، مرتبط بالقضيّة التي يعبّرون عنها ، ويعيشون بين ثناياها ، "فهؤلاء الشّعراء ينصهرون في تجربة مأساويّة عنيفة يعانونها بقلوبهم ووجدانهم وجلود أجسادهم"[2].

والشّاعر "سميح القاسم" باعتباره أحد أبرز شعراء المقاومة ، يرتبط الحديث عن لغته بقضيّة هامّة تجدر الإشارة إليها وهي التزامه بقضيّة وطنه ، حيث يواجه الشّاعر الملتزم بقضيّة مصيريّة كبرى ، موقفًا دقيقًا يقتضيه أن يحقّق توازنًا معقولاً بين ما تتطلّبه مواقف هذه القضيّة من حرارة في القول و حماسة في التّعبير، و نبرة عالية في الإيقاع ، وما يتطلّبه الفنّ من عمق واعتماد على ما للألفاظ و الصّورة الشّعريّة من ظلال و قدرة على الإيحاء[3]، وشعراء المقاومة من أكثر الشّعراء الذين واجهو هذا الموقف الدّقيق، وحاولوا أن يقيموا توازنًا بين الالتزام و الفنّ ، حيث يقول "غسّان كنفاني":" بوسعنا أن نقول أن الالتزام بالقضيّة الوطنيّة، الالتزام الواعي ،هو الاطار الذي استطاع

[1]- محمود حسين محمود صالحة ، إتّجاهات الشّعر الفلسطيني بعد أوسلو، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلاميّة، غزّة ، فلسطين، 2009 ، ص22 .

[2]- محمد دكروب ، الأدب الجديد و الثّورة ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، ط3، 1990 ، ص 261 .

[3]- عبد القادر القط ، في الأدب العربي الحديث ، دار غريب ، القاهرة ،2001 ، ص 32 .

أن يقود خطوات أدب المقاومة في فلسطين المحتلّة نحو مسؤوليّاته دون أن يفقد أيّ بعد من أبعاده ، التي تدور في فلك واحد هو فلك المعركة ضِدّ الاحتلال الإسرائيلئ"[1].

و الالتزام مصطلح أدبي وفنّي معاصر يدعو إلى وجوب إحساس الأدباء و الفنّانين بالمسؤوليّة أمام مجتمعهم ووطنهم [2]،

فموجبات الالتزام تواجه الأديب حيثما ولّى وجهه، وفي كُلّ ما يكتب بدءًا بالالتزام الوطني ، ومرورًا بالالتزام القومي ، وانتهاءًا بالالتزام الإنساني [3].

و"سميح القاسم" شاعر ملتزم بقضيّة وطنه، ملتحم بجراحات شعبه، وظّف موهبته ولغته وشعره في خدمة وطنه ، مبرزًا موقفه النّضالي و الثّوري هذا ما جعله يعتمد الأسلوب المباشر في التّحريض على الثّورة، خاصّة في مراحله الأولى ، فلغة شعر المقاومة لغة جماهيريّة ، تهدف إلى الوصول إلى الجماهير و التّأثير فيها ، غير أنّه استطاع أن يلوّن شعره بباقة من القبسات الفنيّة التي أثرت تجربته الشّعريّة .

و بالوقوف عند بعض الظّواهر اللّغويّة المميّزة لشعره و الموصولة بموضوع البحث ، وهو المقاومة ، فإنّ أبرز هذه الظّواهر تمثّلت في :

أ- الألفاظ الدّالة على المقاومة في شعره:

[1]- غسان كنفاني،الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال1948- 1968،مؤسّسة الدّراسات الفلسطينيّة،بيروت،ط1،1968،ص55
[2]- محمد التّونجي ، المعجم المفصّل في الأدب ، ج1، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1999 ، ص 123 .
[3]- محمد عزّام ، المنهج الموضوعي في النّقد الأدبي ، مطبعة إتّحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 1999 ، ص 94 .

الألفاظ و المفردات التي تناولها الشّعر الفلسطيني المقاوم ، كثيرة و متنوّعة، تدور كُلّها حول الواقع الفلسطيني المُعاش، فَمِن الأرض إلى المقاومة ، إلى الأمل و التّطلّع إلى الحريّة و الخلاص

فالمعجم الشّعريّ الخاص بشعر المقاومة يعجّ بمعاني الثّورة و الصّمود، ... فهو نابع من واقع معبّأ بحالة استنفار فلسطينيّ يوميّ في مواجهة الاحتلال، إلى جانب تطلّع دائم لا يفتر إلى الشّمس و الحريّة و الخلاص من هذا الاحتلال [1].

و"سميح القاسم" كغيره من شعراء المقاومة، إستقى ألفاظه و تعابيره من معجم مأساويّ ملتهب بروح المقاومة و النّضال، كُلّ ألفاظه متعلّقة بمكوّنات الوطن و الشّعب، و ألوان الكفاح و بالنّظر لشعر المقاومة، فإنّنا نجده يعبّر عن الثّورة بمضامين و معانٍ متعدّدة ، و لعلّ أبرز المفردات و الألفاظ المرتبطة بموضوع المقاومة نجد: الوطن ، الشّهادة ، الفداء،الحريّة،الحرب، الدّم ، الموت ، الصّمود، السّجن، الأرض، اللّهيب ،السّماء ،الثّورة، العذاب، اللّيل، الشّمس، الجرح القتل ،المقاومة ، النّضال، الشّجاعة ، المنفى، فلسطين، القدس،النّكبة،الرّيح، الجموح، الشّعب، النّار،الانتصار،الطّفل،الحجر،اللّسان،السّلاح،الجهاد،...وانتشار مثل هذه المفردات في شعر "سميح القاسم" يُعدّ أمرًا طبيعيّا ، لشاعر وظّف تجربته الشّعريّة لخدمة قضيّته الوطنيّة، و للتّعبير عن موقفه النّضالي ، و رؤيته الثّوريّة .

و يتّضح استخدامه لهذه الألفاظ في قصائده من خلال المثال التّالي :

[1]- طلعت سقيرق ، الشّعر الفلسطيني في جيله الثّاني ، مؤسّسة الدراسات الفلسطينيّة ، دمشق، د ت ، ص 67 .

وانشقّ عن صوت علاء الدّين

ميلاد الحساسين الجوارح

-أنا ألقيت على سيّارة الجيش الحجارة

أنا وزّعت المناشير ،

و أعطيت الإشارة

أنا طرزت الشعار

ناقلاً كرسيَّ

منحيّ..لبيت..لجدار

أنا جمّعت الصّغار

وحلفنا باغتراب اللّاجئين

أن نكافح ،

طالما تلمع في شارعنا سنجة فاتح[1]

[1]- سميح القاسم ، الأعمال الكاملة، ج2 ، دار سعاد الصّباح ، الكويت ، 1993 ، ص102 .

فالملاحظ في هذا المقطع من قصيدة (أطفال رفح) ، وجود اسم "صلاح الدّين" وهو من رموز البطولة ، ووردت ألفاظ تدلّ على مقاومة المحتلّ ، فهناك لفظة : الجوارح ، الحجارة ، المناشير، نكافح، وهي كُلّها مرتبطة بصور النّضال ضِدّ الاحتلال .

و يقول في مثال آخر :

أنا أتصدّى

و أقسم ..هذا دمي..وباعصار زهري

و أزهار فجري

ونيران شعري

وأنوار شعري

وعيني و ظفري

و كفي و صدري

أنا أتحدّى[1]

فهو يعبّر بألفاظ كلّها صمود و تحدّي، ككلمة : أتصدّى، دمي،إعصار، نيران،أتحدّى، فكلّها ألفاظ تدلّ على الإصرار و مواصلة التّحدّي .

[1]- سميح القاسم ، عجائب قانا الجديدة ، سربيّة ،مطبعة الحكيم ، منشورات إضاءات ، النّاصرة ، 2006، ص 49-50 .

ب- التّكرار :

التّكرار ظاهرة من ظواهر الشّعر الحديث التي بدأت في الانتشار مع مطلع القرن العشرين، و إن كانت جذورها التّاريخيّة تمتدّ إلى التّراث الشّعري العربي القديم ، فقد استخدمه العرب قديمًا وكان "ابن قتيبة" من أوائل من تعرّضوا له حين تناول أسباب التّكرار في بعض سور القرآن[1] ، وقام بعض النّقاد القدامى بدراسة موضوع التّكرار في الشّعر،فاستحسنوا جيّده، واستقبحوا رديئه، لأنّ التّكرار إذا ورد في غير موضعه، فإنّه لا يخدم المعنى المقصود ، و أمّا إذا كان استخدامه صائبًا فهو يعزّز المعنى، ويظهر أهميّة الألفاظ ، و المعاني المكرّرة.

والتّكرار من أهمّ الوسائل اللّغويّة التي يمكن أن تؤدّي في القصيدة دورًا تعبيريًّا واضحًا، فتكرار لفظة ما أو عبارة ما يوحي بسيطرة هذا العنصر المكرّر و إلحاحه على فكر الشّاعر، أوشعوره ، أو لاشعوره، حيث ترى "نازك الملائكة" أن:" التّكرار في حقيقته، إلحاح على جهة هامّة في العبارة يعنى بها الشّاعر أكثر من عنايته بسواها، ... فالتّكرار يسلّط الضّوء على نقطة حسّاسة في العبارة و يكشف عن اهتمام المتكلّم بها ، وهو بهذا المعنى، ذو دلالة نفسيّة قيّمة"[2] .

يقوم الإيحاء بوظيفة بارزة في القصيدة الحديثة، وتتعدّد أشكاله و صوره بتعدّد الأهداف التي أرادها الشّاعر، و تتراوح بين التّكرار البسيط الذي لا يتجاوز تكرار لفظة أو عبارة، إلى أشكال أخرى أكثر تعقيدًا يتصرّف بها الشّاعر[1].

[1]- رمضان الصباغ ، في نقد الشّعر العربي المعاصر، دراسة جماليّة ، دار الوفاء ، الإسكندريّة ، ط1،1998، ص 236 .
[2]- نازك الملائكة ، قضايا الشّعر المعاصر ، مكتبة النّهضة ، بغداد ، ط 3 ، 1967 ، ص 242 .

و يمثّل التّكرار إحدى الظّواهر الفنيّة التي برزت في قصائد "سميح القاسم"، وقد تنوّعت مظاهره في تلك القصائد بحسب الحالة النّفسيّة و الشّعوريّة التي ألمّت بالشّاعر في أثناء لحظة الإبداع ، أو في أثناء اختمار التّجربة الشّعوريّة، إذ أن هناك بعض الموضوعات و الصّور التي تلحّ عليه في لحظة ما، فيكرّرها بغية التّأثير في المتلقّي أو البوح و الكشف عن الشّعور الباطن الذي يسكنه، حيث استخدم "سميح" التّكرار في غير موضع، و كان له دوره و أثره في النّص الشّعري، ومن أمثلة ما ورد في شعره من التّكرار :

قيل لي إنّهم دُفنوا

و أُهيل لحافُ التراب على الجثث النّائمَهْ

قيل لي إنّني واهمٌ

و أنا أُبصر الدم و اللحم في السّاحة الواهِمَهْ

ليتني واهمٌ أنّني واهم

ليتني موقنٌ أنها يقظتي الحالمَهْ

ليتني ..إنّما لم أَزَلْ صاحيًا

أبصرُ الدمّ و اللحمَ في وَضَحِ اللحظةِ القائمهْ

[1]- ديانا ماجد حسين ندى ، الأسطورة و الموروث الشّعبي في شعر وليد سيف، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنيّة، نابلس ، فلسطين ، 2013 ،ص 131 .

مثلما أبصر الدمَّ و اللحمَ والدمَّ و الدمَّ و اللحمَ

والدمَّ و اللحمَ و اللحمَ و الدمَّ

في ليلتي القادِمَهْ

موتُهُم وَهْمُكُم،

لا تقولو إذن إنّهم دُفِنوا ! [1]

حيث يعبّر في هذه القصيدة عن فزعه برؤية الدّم و الجثث، وكأنّه لا يصدّق هول الموقف، فهو يصوّر ذبائح قانا ، وبتكراره للفظة (ليتني) يبدو كمن يتمنّى أنّ هذه المجزرة لم تحدث ، وبتكراره لكلمة الدم واللحم يبرز فضاعة الموقف.

ويقول في قصيدة (الطّريق إلى جبل النّار) ، التي يتحدّث فيها عن مدينة نابلس، ونختار منها هاته الأبيات :

حفظت المسافة عن ظهر قلب ، حفظت المسافة

تذكّرت كُلّ الصّخور و كُلّ الشّجيرات ، و الأعين السود

والعسليّات ، و الرّزق و الخضر و الأغنيات ،

تذكّرت ، كُلّ المفارق ، راجعتها مفرقًا مفرقًا ، واستعدت

[1]- سميح القاسم ، سأخرج من صورتي ذات يوم ، مؤسّسة الأسوار ، عكّا ، ط1 ،2000 ، ص193 .

القرى قرية قرية[1]

فالملاحظ في هذه القصيدة ، أنّ الشّاعر يكرّر عبارة (حفظت المسافة) ، تأكيدًا على حبّه لهذه المدينة ، حيث ترد هاته العبارة في القصيدة ست مرّات ، فهو يحفظ مسافاتها ، و تبقى محفورة في ذاكرته و قلبه و وجدانه .

كما يقول "سميح القاسم" ، في أبيات أخرى :

سأعود أمس

أعود أمس من السّفر

و يعود للغيم المطر

و تعود أنت إليّ أمس

تعود محمولاً على الأكتاف نعشا

و تعود

أغنية و سنبلة و عرشا

و تعود عصفورًا يرمم في خراب الأرض عشّا

وتعود

[1]- سميح القاسم ، الأعمال الكاملة ،ج 2 ، ص313 .

قنديلاً على الطّرقات

منديلاً على الشّرفات [1]

حيث يكرّر، الفعل : "تعود" عدّة مرّات ، والعودة حلم يراود كُلّ فلسطينيّ مهجّر عن أرضه ، فهذا المعنى لا يبرح فكر الشّاعر و ضميره .

جـ – إستخدام الألفاظ العاميّة و الأجنبيّة :

جـ – 1 – إستخدام الألفاظ العاميّة :

أخذ الشّعراء يستخدمون لغة الحياة اليوميّة و تراكيبها ، يستعينون بها في توصيل المعنى

و توصيل المشاعر و الانفعالات التي تعتلج داخلهم ، فاتّجهوا إلى الإفادة من معجم اللّهجة العاميّة ،

و ذلك انعكاسا لطبيعة الموضوعات التي عالجوها في شعرهم،و ترى" سلمى الخضراء الجيوسي" أن "اللّهجة و المواقف في الشّعر من العوامل التي تغيّرت بشكل مباشر تحت تأثير الجو السياسي في الوطن العربي"[2].

[1]- سميح القاسم ، شخص غير مرغوب فيه ، دار الكلمة ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1986 ، ص 19 .
[2]- سلمى الخضراء الجيوسي ، الاتجاهات و الحركات في الشّعر العربي الحديث ، تر: عبد الواحد لؤلؤة ، مركز دراسات الوحدة العربيّة ، بيروت ، ط2 ، 2007 ، ص 703 .

و الشّاعر ينمّي مفرداته الخاصّة تبعًا لتجربته ، فضلاً عن تأثّره بالتطوّرات الحضاريّة و تحصيله المكتسب ، وشيوع ألفاظ عاميّة في قصائد شاعر معيّن يشير إلى أن تجربة خاصّة تكوّنت لدى الشّاعر تحتاج إلى شبكة لفظيّة ذات دلالات معنويّة و نفسيّة تناسب هذه التّجربة ، وتعبّر عن تلك الحالة الإنفعاليّة التي تسيطر على الشّاعر[1].

حيث يحاول الشّاعر الاقتراب بلغة شعره من الحياة اليوميّة ، ليكون أكثر قربًا و تفاعلاً مع

جمهوره لأنّه يريد التّأثير فيه و التّعبير عن قضاياه و أحاسيسه .

وقد استخدم الشّعراء الفلسطينيّون الألفاظ العاميّة بكثرة في أشعارهم ، حيث كان لظاهرة الثنائيّة اللّغويّة حضور بارز في الشّعر الفلسطيني بجميع مراحله ، و لهذه الظّاهرة في تجربة شعراء المقاومة أسبابها و دواعيها ، فاستخدام شعراء فلسطين للكثير من الألفاظ الدّارجة في أشعارهم ، إنّما يهدف إلى تشبّثهم بجذورهم العربيّة الفلسطينيّة ، و تثبيتهم لها ، أمام عدوّ شرس ، يحاول بشتّى الطّرق اقتلاعهم من وطنهم ، وطمس ملامح هويّتهم في كُلّ شيء ، ولمّا كانت لغة الشّعب و ألفاظه تُعدّ سلاحًا لَهُ وَقْع القذائف ، مال إليها الشّعراء في شعرهم ، فكانت ركيزتهم ،

[1]- ناصر علي ، بنية القصيدة في شعر محمود درويش ، المؤسّسة العربيّة للدّراسات و النّشر ، بيروت ، ط1 ، 2001 ،ص96 .

وبحرهم الذي يغرفون منه ، و تضيف جانبًا جماليًّا اجتماعيّا لفنّ القول و سلاح الكلمة . ولا نغفل أنّ كثيرا منهم استخدموا الألفاظ الدّارجة إيمانًا بالواقعيّة في أشعارهم [1].

وقد استخدم "سميح القاسم" الألفاظ العاميّة في شعره بكثرة ، باعتباره شاعرَ مقاومة يحاول من خلال شعره الوصول إلى أذهان الشّعب و التّأثير فيه ، في سبيل نصرة القضيّة ، حيث برز استخدام هذه الظّاهرة من خلال ما ورد في الأبيات التّالية :

وتعالوا

أحكموا فكّ الكلبشة[2]

إستخدم هنا مصطلح الكلبشة ، وهو مصطلح عامي يعني القيد أو الأصفاد المستخدمة في الاعتقال .

و يقول في أبيات أخرى :

أبي مات

بيّي .. أنا فاديه [3]!

فهو يستعمل لفظة "بيّي" التي تعني "أبي" في اللّهجة الفلسطينيّة ، و الشّاميّة .

كما يقول في قصيدة أخرى :

[1]- أحمد موسى الخطيب ، وهج القصيد ، دراسات في الشّعر العربي المقاوم ، جامعة البترا ، الأردن ، ط1، 2009، ص 68 .
[2]- سميح القاسم ، شخص غير مرغوب فيه ، ص 85 .
[3]- سميح القاسم ، عجائب قانا الجديدة ، سربيّة ، ص 28 .

يمّا .. حرام

لا تذبحي زوج الحمام

لا تذبحيه

و الآن يا يمّا أنام[1]

ويستخدم "سميح" ، الأغنية الشّعبيّة في شعره ، ومن ذلك قوله :

ونغنّي

يا ليلي يا عيني

في القلب .. صلاح الدّين[2]!

جـ – 2 – إستخدام الألفاظ الأجنبيّة :

لقد استخدم الشّاعر الألفاظ الأجنبيّة في شعره ، في مواضع عِدّة ، وكان هذا الاستخدام حسب موضوع القصيدة ، وحالة الشّاعر ، وهذا بحكم ثقافة الشّاعر ، إضافة إلى طبيعة المجتمع الذي يعيش فيه ، حيث توجد اللّغة العبريّة و الانجليزيّة .

و"سميح القاسم" كثير التّجوال ، ينتقل من مكان لآخر ، في خضم مهرجانات الشّعر ،

[1]- سميح القاسم ، الأعمال الكاملة ،ج2 ، ص 63-64 .
[2]- سميح القاسم ، سأخرج من صورتي ذات يوم ، ص 185 .

و المؤتمرات الأدبيّة العالميّة ، في البلاد الأوربيّة والآسيويّة ، والإفريقيّة ، وبحكم اطّلاعه على الآداب العالميّة ، تولّد لدى الشّاعر مخزون ثقافي متنوّع .

ومن أمثلة استخدامه للألفاظ الأجنبيّة ، ما جاء في هذا المقطع الشّعري من قصيدة "سيناريو فيلم صامت (أسود– أسود)" :

يتهادى صوبه المحتفلون

بملابسهم الأنيقة

يقتطعون اللّحم من أطرافه

ينثرون الملح والبهارات بحذر

ثم يمدّون أيديهم الوجلة

نحو المناقل المتوهّجة بالجمر الطّازج

إنّه بكنِك غير عادي

أوه مستر عبد المنعم شابلن

يور باربكيو إز وندرفول

أوه . ثانك يو .

ثانك يو فيري متش ... [1]

حيث تمتزج في هذا المقطع اللّغة الفصحى ، بألفاظ أجنبيّة ، وينهي القصيدة بالمقطع التّالي :

آخر ما يظهر في الفيلمْ

فئران جذلى

تتبع عازف نايْ

(cut)

طربوشي و عصاي

(cut)

وحذائي الضّخم

آخر ما يظهر في الفيلمْ

[2]THE END

[1]- سميح القاسم ، سأخرج من صورتي ذات يوم ، ص 174 .
[2]- سميح القاسم ، سأخرج من صورتي ذات يوم ، ص 184 .

وهنا استعمل الشّاعر كلمات أجنبيّة ، خاصّة بالمجال السّينمائي ، مجسّدًا بذلك التّداخل اللّغوي الحاصل في مجتمعاتنا العربيّة .

3- التّنـاص :

يبرز التّناص ظاهرة لغويّة واسعة الانتشار في الشّعر العربي المعاصر، و"يُعتمد في تمييزها

على ثقافة المتلقّي و سِعَة معرفته ، و قدرته على التّرجيح ، على أنّ هناك مؤشّرات تجعل التّناص يكشف عن نفسه و يوجّه القارئ للإمساك به"[1].

و التّناص هو أن يتضمّن نصّ أدبي ما نُصوصًا أو أفكارًا أخرى سابقة عليه عن طريق الاقتباس أو التّضمين ، أو التّلميح أو الإشارة [2]، ...أو غيرها ، فهو مرتبط بثقافة الأديب ، "ففي فضاء نصّ معيّن تتقاطع و تتنافى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى"[3].

وتشترك جميع نظريّات التّناص في أنّها تعير اهتمامًا بالغًا بالخلفيّة المعرفيّة للمبدع في عمليّتيْ إنتاج الخطاب أو تلقّيه ، غير أنّ المبدع لا يستدعي "الأحداث و التّجارب السّابقة كُلّها في تراكم و تتابع ، و إنّما يعيد بناءها و تنظيمها ، و إبراز بعض العناصر منها و إخفاء أخرى تبعًا لمقصديّة المنتج و المتلقّي"[4].

---

[1]- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشّعري،استراتيجيّة التّناص، المركز الثّقافي العربي،الدّار البيضاء،المغرب، ط3،1992،ص130

[2]- أحمد الزّعبي، التّناص،نظريّا و تطبيقيّا، مكتبة الكتاني، إربد ، الأردن ، ط1،1995، ص9.

[3]- جوليا كرستيفا ، علم النّص، تر:فريد الزّاهي ، دار توبقال للنّشر ، المغرب ، ط1 ، 1991، ص 78.

[4]- محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشّعري ،استراتيجيّة التّناص، ص 124 .

فالشّاعر يعيد إنتاج ما تقدّمه و ما عاصره من نصوص مكتوبة ، و غير مكتوبة "عالميّة " أو

"شعبيّة" ، أو ينتقي منها صورة أو موقفًا دراميًّا ، أو تعبيرًا ذا قوّة رمزيّة ... ، فالشّاعر ليس إلاّ معيدًا لإنتاج سابق في حدود من الحرّية.[1]

ويمكن القول أنّ ظاهرة التّناص تُعدّ إحدى تجلّيات التّناص الشّعري الذي يتّسم بخاصيّة انفتاحه على نصوص أخرى لا سيما التّراثيّة ، وقد لجأ الشّاعر الفلسطيني من خلال التّناص إلى

تكثيف تجربته و شحنها بفيض دلالي عارم ، فالشّاعر الفلسطيني استثمر التّناص بمفهومه النّقدي المعاصر ، وقد لجأ إلى نسج قصائده على تخوم مصادر ثقافيّة متنوّعة ، الدّين ، الأسطورة ، التّاريخ ، التّراث الشّعبي .

وقد ظلّ الحديث عن التّناص متفرّعًا يشمل جانبين اثنين ، أوّلهما التّناص المباشر ، وفيه تبرز

تقنيات الاقتباس و التّضمين ، والاستشهاد و غيرها، تعبيرًا عن اتّكاء الشّاعر على نصّ ما بلغته التي ورد فيها ، مثل الآيات و الأحاديث ، والأشعار و القصص ، مع الأخذ بعين الاعتبار طبيعة المرجعيّة (تاريخيّة أم دينيّة ، أم أدبيّة...) ، أمّا الجانب الثّاني فهو التّناص غير المباشر حيث يستنتج استنتاجًا ، وهو يدخل في دائرة تناص الأفكار أو المقروء الثّقافي ، و يدخل ضمن التّناص

[1]- المرجع نفسه ، ص 130 .

غير المباشر أيضا تناصاللّغة و الأسلوب. [1]

و يُعَدّ سميح القاسم من أبرز الشّعراء الذين ظهر التّناص جليًّا في أشعارهم ، حيث لجأ إلى

استخدام التّناص بمختلف أنواعه ، مستلهمًا من التّراب ، فحضور التّراث من أهم ميزات أدب الشّعراء الفلسطينيّين ، وهذا راجع لِمَا لَه من دور مهمّ في مجابهة المستعمر ، وفي الحفاظ على هويّة و مرتكزات الشّعوب . وقد تجلّى التّناص في شعر "سميح القاسم" ، مُتمثّلاً في التّناص الدّيني ، والتّناص الأسطوري على النّحو التّالي :

أ. التّناص الدّيني :

ارتبط الدّين بالوجدان الإنساني ارتباطًا وثيقًا عبر العصور، و الأجيال ، ولا يخفى مَا للدّن من أهميّة في حياة النّاس ، لِمَا لَه علاقة بعواطفهم ، إذ ليس هناك عاطفة أقوى من عاطفة الدّين ،

من هذا المنطلق، يوظّف الأديب تراثه الدّيني ضمن إنتاجه الأدبي واعيًا ، أو غير واعٍ ، مباشرة أو غير مباشرة مثيرًا في القرّاء مشاعرهم الدّينيّة بغية تلقّي استجابة أكثر من قبلهم ، وقد كثر توظيف الرّموز الدّينيّة في الشّعر المتّصل بفلسطين المحتلّة [2].

[1]- صادق عيسى الخضور، التّواصل في شعر عزالدّين المناصرة، دار المجدلاوي للنّشر والتّوزيع، عمان ، ط1، 2007،ص107

[2]- محمد خاقاني أصفهاني ، التّراث الدّيني في شعر سميح القاسم شاعر المقاومة الفلسطينيّة ، مجلّة دراسات في اللّغة العربيّة وآدابها ، العدد الخامس ، ربيع 2001، ص 5 .

حيث تعامل الشّعراء مع التّراث الدّيني الإسلامي لِمَا لَه من تأثير قويّ و عميق في نفوس النّاس ، فكان القرآن الكريم هو المرتكز الأساس في هذا التّراث الذي تأثّر به الشّعراء [1].

و الشّاعر "سميح القاسم" من أكثر الشّعراء تأثّرًا به ، نظرًا إلى انتمائه الدّيني ، فالتّراث الإسلامي يحتلّ حيّزًا كبيرًا في أشعاره ، حيث اقتبسمن القرآن الكريم ، العديد من الآيات ، ومن الشّخصيّات ، و القصص، و الأحداث .

ومن نماذج ما ورد في شعره من تناص مع القرآن الكريم ، قوله في قصيدة "نشيد الأنبياء" :

دعهم ، فإن ضلالهم قدر يرافقهم إلى اليوم الأخير !

جالد إذا أفلحت ، منتزعًا خطاك من الوحول الدّاميات

وعد إلى فردوسك المهجور ، للجنّات تجري تحتها

الأنهار ، للقصر الكبير [2] .

حيث اقتبس الشّاعر "للجنّات تجري تحتها الأنهار"، من الآية الكريمة: ﴿***جزاؤهم عند ربّهم جنّات عدن ، تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، أبدًا رضي اللّه عنهم و رضوا عنه ذلك لمن خشي ربّه***﴾ [3]

[1]- عبد الرّحمان علي عبد الرّحمان جعيد ، علي الخليلي أديبا ، ص63 .
[2]- سميح القاسم ، الأعمال الكاملة ، ج4 ، ص 22 .
[3]- سورة البيّنة ، الآية 7 .

وفي موقع آخر يقتبس "سميح القاسم" قول اللّه عزّ و جلّ : ﴿***إرم ذات العماد***﴾ في قصيدة "أنادي الموت"، حيث يقول فيها :

أبدًا تجذب وجهي بالنّداءات الخفيّة

لمكان خلف أسوار الشّقاء

فيه شيّدت قصوري الذهبيّة

إرمي ذات العماد ...

إرمى ... أمنحها من كُلّ قلبي للعباد [1]

فقد استوحى هذا القول من الآية الكريمة:﴿***ألم تر كيف فعل ربّك بعاد ، إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد*** [2]﴾

ويقول "سميح" في قصيدة "غزة" :

و أعوذ باللّه الرّحيم

من شر ما خلقت يداه

و أعوذ بالشّر الرجيم

من شرّ ما خلقت يداه [1]

[1]- سميح القاسم ، الأعمال الكاملة ، ج1 ، ص 305 .
[2]- سورة الحجر ، الآية 7- 8 .

وهو هنا يتناص مع قول اللّه تعالى من آيات سورة الفلق : ﴿***قل أعوذ بربّ الفلق ، من شرّما خلق ، ومن شرّ غاسق إذا وقب ، ومن شرّ النفاثات في العقد***﴾ [2]

ومن الأمثلة السّابقة يظهر جليًّا تأثّر الشّاعر بالقرآن الكريم ، فهو يوظّف الآيات و العبارات

المستوحاة من كلام المولى عزّ و جلّ .

ب- التّناص الأسطوري :

تُعدّ الأسطورة من مظاهر الشّعريّة في القصيدة العربيّة المعاصرة ، إذ إنّها تشكّل نظامًا خاصّا داخل بنية الخطاب الشّعري العربي المعاصر ، يتجلّى في استحضار الماضي ، وعناصره التّراثيّة التي تضفي نوعًا من الخصوبة والثّراء على الرّؤية الشّعريّة، فالمزج العناصر الأسطوريّة و الواقع ما هو إلّا محاولة لتعميق الوعي بالواقع وظواهره الاجتماعيّة و السّياسيّة و الفكريّة[3].

فالأسطورة بفعل التّطوّر قد استحالت إلى أخيلة يستمدّ الشّاعر المعاصر رموزه منها ليمنح قصيدته بعدًا إنسانيًّا عامًّا [4].

وكما يتعامل الشّاعر المعاصر مع الرّموز القديمة فإنّه يخلق كذلك الرّمز الجديد و ينشئ

---

[1]- سميح القاسم ، الأعمال الكاملة ، ج2 ، ص 68- 69 .
[2]- سورة الفلق ، الآية 1- 4 .
[3]- باسل محمد علي بزواوي ، سميح القاسم دراسة نقديّة في قصائده المحذوفة ، ص 219 .
[4]- عزالدين إسماعيل،الشّعر العربي المعاصر،قضاياه وظواهره الفنيّة والمعنويّة،دار الفكر العربي،بيروت، ط3،1978،ص 214

الأسطورة الجديدة وهو في هذا يحتاج إلى قوّة إبتكاريّة فذّة يستطيع بها أن يرتفع بالواقعة الفرديّة المعاصرة إلى مستوى الواقعة الإنسانيّة العامّة ذات الطّابع الأسطوري [1].

والشّاعر بهذا المعنى لا يقصدها لذاتها ، و إنّما يقصد أثرها في بناء القصيدة و توضيح دلالاتها و ترسيخها في نفس المتلقّي ، وقد لجأ الشّعراء العرب المعاصرون إلى توظيف الأسطورة في إبداعاتهم الشّعريّة ، ولم يكن ذلك بهدف إقحامها في النّص دون حاجة القصيدة ، بل كان بهدف

توليد معان جديدة في النّص، تضيف إليها بعدًا جماليًّا و للتّعبير عن قيم إنسانيّة محدودة إمّا لأسباب

سياسيّة بأن يتّخذ الشّاعر الأسطورة قناعًا يعبّر من خلاله عمّا يريد من أفكار و معتقدات تجنّبًا للملاحظات السّياسيّة أو الدّينيّة فتكون شخصيّات الأسطورة ستارًا يختفي الشّاعر خلفه ليقول ما يريده ، وهو في مأمن من السّجن أو النّفي ، كما أنّ استعمال الأسطورة يطرح مستويات مختلفة للتّأويل [2].

وقد احتفى "سميح القاسم" كغيره من أبناء عصره بالأسطورة احتفاءً ملفتًا للنّظر ، ممّا جعلها خاصّية بارزة و موضوعيّة في جلّ قصائده ، فقد غدت عنده مطلبًا روحيًّا ، قبل أن تكون مطلبًا فنيًّا ، و الأسطورة عند "سميح القاسم" لحظة تعبير عن النّزعة التّغريبيّة التي أحسّها وهو في

[1]- المرجع نفسه ، ص 187 .
[2]- رمضان الصّباغ ، في نقد الشّعر العربي المعاصر دراسة جماليّة ، ص 344 .

وطنه المسلوب وبين أفراد شعبه المغلوب ، فعبّر عن هذا الحرمان ، وهذه الغربة النّفسيّة بصرخات قلمه الثّائر الرّافض لكلّ أنواع السّلب و القهر و البطش[1] .

حيث تعدّدت أنواع الأساطير التي وظّفها "القاسم" في شعره ، فهناك الأساطير العربيّة ، و اليونانيّة، والفرعونيّة . ومن الأساطير التي وظّفها، أسطورة "عشتروت"، وهي آلهة الإخصاب و الجمال عند السّاميين، وقد كانت أهم آلهة الفينيقيّين ، وهي تمثال "أفروديت" الإفريقي و اليوناني

وعرفت عشتروت بشخصيّتها الحربيّة في أسفار العهد القديم، ويرمز"القاسم" لبيروت بعشتاروت، "بيروت" الصّامدة ، بيروت التي آوت الفلسطينيّين من شتاتهم واحتضنتهم .

حيث يقول "القاسم" في قصيدة "عمامة الملوك. طربوش للآغا و قداس لبيروت" :

عشتاروت

يا بيروت

يل بنتًا مدلّلة

تصيح بحزنها الدّموي .

أرملة تصيح

[1]- سامية عليوي، التناص الأسطوري في شعر سميح القاسم (مجموعتا "أغاني الدروب" و"ارم" أنموذجًا)،مجلّة كليّة الآداب و العلوم الإنسانيّة و الاجتماعيّة ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، الجزائر،العدد السّابع 2010، ص 213 .

أنا . أنا جمل المحامل

و أنا . أنا جمل المحامل [1]!!

وفي موضع آخر، يستحضر "القاسم" أسطورة "أوديب" ، الأسطورة الإغريقيّة ، التي تحكي قصّة الملك "أوديب" ، وهذا في قصيدة بعنوان "أنتيجونا" ، وهو اسم إحدى بنات الملك"أوديب" ، التي وقفت إلى جانب والدها في أصعب لحظات حياته، فكانت بذلك رمز الوفاء للأب، ومثّلت قِمّة

التّضحية في سبيله ، حيث ظلّت إلى جانبه و سارت معه خطوة ، خطوة ... .

حيث يقول الشّاعر متحدّثًا على لسان "أنتيجونا" :

خطوة ...

ثنتان ...

ثلاث ...

أقدِمْ ... أقدِم

يا قربان الآلهة العمياء

يا كبش فداء

[1]- سميح القاسم ، الأعمال الكاملة ، ج 3 ، ص 554-555 .

في مذبح شهوات العصر المظلمْ

خطوة ...

ثنتان ...

ثلاث ...

زندي في زندك

نجتاز الدّرب الملتاث !

.. ..

يا أبتاه !

مازالت في وجهك عينان

في أرضك مازالت قدمان

... ...

يا أبتاه

أن تُسمل عينيك زبانية الأحزان

فأنا ملء يديك

مسرجة من زيت الإيمان

و غدا يا أبتاه أعيد إليك

قسما يا أبتاه أعيد إليك

ما سلبتك خطايا القرصان

قسما يا أبتاه

باسم اللّه .. و باسم الإنسان

... ...

خطوة ...

ثنتان ...

ثلاث... [1]

حيث تجلّت الأسطورة في هذه القصيدة ، بداية من العنوان ، و الشّاعر هنا يعتبر نفسه مرشدًا لشعبه ، و ناصحًا له ، في طريق الكفاح ضدّ المستعمر ، حيث يستعير أسلوب "أنتيجونا"، حين تخاطب والدها ، وتقترح عليه المساعدة .

[1]- سميح القاسم ، الأعمال الكاملة ، ج 1 ، ص 67-68

الخاتمة:

بعد عرض عناصر البحث، يمكن استخلاص أبرز النّتائج المتوصّل إليها :

- تبرز أهميّة المقاومة ، من حيث أنّها مبدأ حياة قائم على رفض للواقع و الإيمان بالقدرة على تغييره، و السّعي لعيش حياة أفضل ، والرّغبة في استنشاق الحُريّة ، و التّخلّص من كُلّ أشكال الظّلم ، و الاضطهاد .
- يعتبر أدب المقاومة بصفة عامّة ، و شعر المقاومة بصفة خاصّة ، سِلاحًا فعّالاً إلى جانب المقاومة المسلّحة ، حيث يلعب دورًا هامًّا في إذكاء روح النّضال و الكفاح لدى الشّعوب التي تتعرّض للاحتلال .
- كان لكلّ مرحلة من مراحل تطوّر شعراء المقاومة في فلسطين ، أصواتها المميّزة التي عبّرت عن تحوّلات القضيّة ، حيث كان لكلّ جيل من الأجيال ، خصوصيّته التي تميّزه ، شكلاً و مضمونًا .
- تعتبر نكسة 1967 ، وما جاء بعدها أبرز مرحلة ، في مسيرة الشّعر المقاوم ، حيث شهدت ظهور جيل متميّز من الشّعراء ، حملوا على عاتقهم إعلاء راية الوطن ، و الدّفاع عن قضيّة شعبهم ، فكانت أشعارهم بمثابة النّور الذي يضيء وجدان الشّعب المقاوم .
- لقد تجلّت المقاومة شعرًا من خلال المضامين و الموضوعات التي طرحها شعراء المقاومة، فشعر المقاومة مرتبط بحياة الشّعوب و مكوّناتها ، حيث تغنّى بالوطن ، وأبْرَزَ مدى

الارتباط به ، و عبّر عن جراحاته ، و طرح موضوع الشّهادة و الفداء كأسمى أنواع التّضحية في سبيل الوطن ، كما تحدّث عن مرارة السّجن و المنفى ، وعن التّحديات التي يواجهها من يتعرّض لهذه التّجارب .

- يعدّ "سميح القاسم" من أكثر شعراء المقاومة شُيوعًا في فلسطين، وفي العالم العربي، نظرًا لتجربته الفذّة ، و حسّه المبدع ، حيث استثمر قدراته الإبداعيّة في سبيل قضيّة وطنه المسلوب ، هذا ما جعله يحاول أن يوازن بين قدراته الفنيّة العالية ، وبين ما يقتضيه التزامه بقضيّة وطنه .
- استثمر "سميح القاسم" – كغيره من شعراء المقاومة – التّراث بمختلف أشكاله ، الدّيني و الشّعبي ، و الأسطوري ، من خلال نظرة إنسانيّة شاملة ، و هذا راجع إلى وعيه بأهميّة التّراث في ترسيخ هويّة الشّعوب ، و تعزيز انتماءاتها الوطنيّة و الدينيّة والإنسانيّة .
- وظّف "سميح القاسم" في أشعاره العديد من التّقنيات اللّغويّة و الفنيّة ، التي لوّنت شعره و أضافت له بُعدًا جماليًّا ، إلى جانب بعده الثّوري و النّضالي .

كانت هذه جملة من الاستنتاجات، ويبقى البحث في هذا المجال متواصلًا ، بأوجهه المتعدّدة، فهو مجال واسع ، يصعب الإحاطة به، و أرجو أن يُطرح هذا الموضوع بصورة أشمل حتّى تفيه حقّه.

وفي الأخير أقول إنّ هذا العمل المتواضع ، يبقى مجرّد محاولة، آمل أن تسهم ولو بالقدر القليل في إثراء البحوث المهتمّة بهذا الموضوع .

قائمة المصادر و المراجع :

- القرآن الكريم.

أ- المصادر و المراجع :

1- إبراهيم طوقان ، ديوان ابراهيم طوقان ، دار الآداب ، بيروت ، ط2 ، 1966.

2- أحمد الزّعبي ، التّناص، نظريّا و تطبيقيًّا ، مكتبة الكتاني ، إربد ، الأردن،ط1، 1995 .

3- أحمد فطري ، الأدب السّياسي ، عند عبد الكريم غلّاب، دار الثّقافة ، الدّار البيضاء، المغرب ، ط 1 ، .1982

4- أحمد موسى الخطيب ، وهج القصيد ، دراسات في الشّعر العربي المقاوم ، جامعة البترا ، الأردن ، ط 1 ، 2009 .

5- تهاني شاكر ، محمود درويش ناثرًا ، دار الفارس ، الأردن ، ط 2004 .

6- جوليا كرستيفا ، علم النّص ، تر: فريد الزّاهي ، دار توبقال للنّشر ، المغرب ، ط 1 ، 1991.

7- حسين جمعة، ملامح في الأدب المقاوم "فلسطين أنموذجا"، الهيئة العامّة السّوريّة للكتاب ، دمشق ، 2009.

8- حيدر توفيق بيضون ، غسان كنفاني الكلمة و الجرح ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ،1995 .

9- رجاء عيد ، لغة الشّعر،قراءة في الشّعر العربي الحديث، دارالمعارف، الإسكندرية ،مصر،دت

10- رمضان الصباغ، في نقد الشّعر العربي المعاصر، دراسة جماليّة ، دار الوفاء ، الإسكندرية ، ط 1 ، 1998 .

11- زهير جبّور وآخرون ، الإبداع و الرّؤى في تجربة زياد نجيب ذبيان ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2004 .

12- سلمى الخضراء الجيوسي، الاتّجاهات والحركات في الشّعر العربي الحديث ، تر: عبد الواحد لؤلؤة ، مركز دراسات الوحدة العربيّة ، بيروت ، ط 2 ، 2007 .

13- سلمى الخضراء الجيوسي ، موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر، ج 1 (الشّعر)، المؤسّسة العربيّة للدّراسات و النّشر ، بيروت ، 1997 .

14- سميح القاسم ، الأعمال الكاملة، دار سعاد الصّباح ، الكويت ، 1993 .

15- " " - ديوان الممثل ، مؤسّسة الأسوار ، عكّا ، ط 1 ، 2000 .

16- - سأخرج من صورتي ذات يوم ، مؤسّسة الأسوار ، عكّا ، ط 1 ، 2000 .

17- - ديوان شخص غير مرغوب فيه ، دار الكلمة ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1986 .

18- -عجائب قانا الجديدة، سريّة، مطبعة الحكيم، منشورات إضاءات، النّاصرة،2006.

19- شوقي ضيف ، البطولة في الشّعر العربي ، دار المعارف ، مصر ، ط 2 ، د ت .

20- صادق عيسى الخضور ، التّواصل في شعر عز الدّين المناصرة ، دار المجدلاوي للنّشر والتّوزيع ، عمان ، ط 1 ، 2007 .

21- صالح أبو أصبع ، و آخرون ، ثقافة المقاومة في الآداب و الفنون ، ج 2 ، جامعة فيلادلفيا ، مطبعة الخط العربي ، الأردن ، 2006 .

22- صالح خرفي، شعر المقاومة الجزائريّة ، الشركة الوطنيّة ، الجزائر ، د ت .

23- صدوق راضي، شعراء فلسطين في القرن العشرين، المؤسّسة العربيّة للدّراسات و النّشر، بيروت، ط 1 ، 2000 .

24- طلعت سقيرق،الشّعر الفلسطيني في جيله الثّاني،مؤسّسات الدّراسات الفلسطينيّة، دمشق، د ت

25- طه وادي ، جماليّات القصيدة المعاصرة ، دار المعارف ، القاهرة ، 1981 .

26- عادل الأسطة، أدب المقاومة، من تفاؤل البدايات إلى خيبة النّهايات ، مؤسّسة فلسطين للثّقافة، دمشق ، ط 2 ، 2008 .

27- عباس بن يحيى ، مسار الشّعر العربي الحديث و المعاصر ، دار الهدى ، للطّباعة و النّشر ، عين مليلة الجزائر ، د ت .

28- عبد الرّحيم محمود، ديوان عبد الرّحيم محمود، دار العودة ، بيروت ، 1999 .

29- عبد العزيز شرف، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، دار الجيل ، بيروت، د ت.

30 - عبد القادر القط ، في الأدب العربي الحديث ، دار غريب ، القاهرة ،2001 .

31- عبد الله الركيبي، فلسطين في الأدب الجزائري الحديث ، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، دت.

32- " " - قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر ، دار الكتاب العربي ، الجزائر، 2009 .

33- عبد الملك مرتاض ، في نظريّة الرّواية ، عالم المعرفة ، الكويت ، 1998 .

34- عز الدين إسماعيل ، الشعر العربي المعاصر ، قضاياه و ظواهره الفنيّة والمعنويّة ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ط 3 ، 1978 .

35- غسان كنفاني ، الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال 1948- 1968 ، مؤسّسة الدّراسات الفلسطينيّة ، بيروت ، ط 1 ، 1968 .

36- فاتح علاق ، في تحليل الخطاب الشّعري ، دار التنوير ، الجزائر ، ط 2 ، 2008 .

37- فتحية محمود،محمود درويش ومفهوم الثورة في شعره، المؤسّسة الجزائريّة للطّباعة،1987.

38- فدوى طوقان ، الأعمال الكاملة ، المؤسّسة العربية للإعلام و النّشر ، بيروت ، ط1 ، 1993.

39- مجمع اللّغة العربية ، المعجم الوسيط ، ج 5، مكتبة الشروق الدّولية، مصر، ط 4 ، 2004.

40- محمد التّونجي ، المعجم المفصّل في الأدب ، ج 1 ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1999 .

41- محمد الصّالح خرفي ، أبو القاسم خمّار ، بين ثورة الشّعر وشعر الثّورة ،جمعيّة الإمتاع والمؤانسة ، الجزائر ، دت .

42- محمد بوزواوي ، موسوعة شعراء العرب، دار هومة ، الجزائر، ط 2010 .

43- محمد دكروب ، الأدب الجديد و الثّورة ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، ط 3 ، 1990.

44- محمد حسين هيكل ، ثورة الأدب ، دار المعارف ، القاهرة ، د ت .

45- محمد حمدان ، أدب النّكبة في التّراث العربي ، إتّحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2004 .

46- محمد عزام،المنهج الموضوعي في النّقد الأدبي، مطبعة إتّحاد الكتاب العرب، دمشق،1999.

47- محمد محمد حسن شراب، شعراء فلسطين في العصر الحديث ، الأهليّة،الأردن ، ط1، 2006.

48- محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشّعري ، استراتيجية التناص ، المركز الثّقافي العربي ، الدّار البيضاء ، المغرب ، ط 3 ، 1992 .

49- محمود درويش ، ديوان محمود درويش ، دار الحريّة للطّباعة والنّشر ،بغداد ، ط2، 2000.

50- - يوميّات الحزن العادي ، المؤسّسة العربيّة للدّراسات و النّشر ، 1973 .

51- ابن منظور، لسان العرب ، المجلّد 5، ج 42، دار المعارف، القاهرة، دت .

52- نازك الملائكة ، قضايا الشّعر المعاصر ، مكتبة النّهضة ،بغداد ، ط 3 ، 1967.

53- ناصر علي ، بنية القصيدة في شعر محمود درويش ، المؤسّسة العربيّة للدّراسات و النّشر ، بيروت ، ط 1 ، 2001 .

الرّسائل الجامعيّة :

1-باسل محمد علي بزراوي، سميح القاسم، دراسة نقديّة في قصائده المحذوفة، رسالة ماجستير، جامعة النّجاح الوطنيّة ، نابلس ، فلسطين ، 2008 .

2-ديانا ماجد حسين ندا ، الأسطورة و الموروث الشّعبي في شعر وليد سيف، رسالة ماجستير، جامعة النّجاح الوطنيّة، نابلس ، فلسطين ، 2013 .

3-رقيّة زيدان ، التغيّر الدّلالي في شعر سميح القاسم ، رسالة ماجستير، جامعة النّجاح الوطنيّة ، نابلس ، فلسطين ، 2001 .

4-عبد الرّحمان علي عبد الرّحمان جعيد ، علي الخليلي أديبًا ، رسالة ماجستير ، جامعة النّجاح الوطنيّة ، نابلس ، فلسطين ، 2006 .

المجلاّت و الدّوريّات:

1-السيد نجم ، لماذا أدب المقاومة و أدب الحرب منه ، مجلّة نزوى ، العدد 35 ، 07، 2009.

2-فيصل صالح القصيري، شعر المقاومة عند محمود درويش، مجلّة آداب الفراهيدي ، العدد 2،

السنة الأولى.

3-سامية عليوي ، التّناص الأسطوري ، في شعر سميح القاسم ، مجلّة كليّة الآداب و العلوم الإنسانيّة و الإجتماعيّة ، جامعة محمد خيضر، بسكرة ، الجزائر ، العدد السّبع ، 2010.

4-مجلّة أمال ، العدد 2 ، تصدر عن وزارة الثّقافة ، الجزائر ، ديسمبر ، 2008.

5-محمد خاقاني أصفهاني ، التّراث الدّيني في شعر سميح القاسم شاعر المقاومة، مجلّة دراسات في اللّغة العربيّة و آدابها ، العدد الخامس ، ربيع 2001.

فهرس المحتويات:

- **الإهداء.**

.....

....

- **شكر وتقدير.**

.....

...

- **مقدّمة .**

.....

..... أ

- **المدخل :**

1- مفهوم أدب المقاومة و دوره .

.....5

أ- تعريف المقاومة .

.....5

ب- مفهوم مصطلح أدب المقاومة.

.....7

ج- ظهور المصطلح و تطوّر تداوله.

.....8

د- دور أدب المقاومة و مميّزاته.

.....9

- **الفصل الأوّل : حضور المقاومة في الشّعر الفلسطيني.**

- **1- مكانة شعر المقاومة.**

.....16

- **2- مراحل تطوّر الشّعر الفلسطيني المقاوم.**

.....21

- أ- المرحلة الأولى .

.....21

- **ب**- المرحلة الثّانية .

23.....

- **ج**- المرحلة الثّالثة .

26.....

- **3- أهم موضوعات و مضامين شعر المقاومة.**

27.....

- أ- الأرض و الوطن.

28.....

- **ب-**

الشّهيد.....

32.....

- **ج**- المنفى و السّجن.

35.....

- **الفصل الثّاني: ظواهر لغويّة و فنيّة في شعر "سميح القاسم" شاعر المقاومة.**

1-نبذة عن حياة الشّاعر سميح القاسم.

40.....

2-اللّغة في شعر "سميح القاسم".

42.....

أ – الألفاظ الدّالة على المقاومة في شعره.

44.....

ب – التّكرار.

.....**47**

ج – استخدام الألفاظ العاميّة و الأجنبيّة .

.....50

3 – التّناص.

.....

54

أ – التّناص الدّيني.

.....55

ب – التّناص الأسطوري.

.....58

– **الخاتمة.**

.....

64.....

– **قائمة المصادر و المراجع.**

.....**66**

– **فهرس المحتويات.**

.....**71**

– **الملخّص.**

.....

73...

ملخّص البحث:

لقد تمّ في هذا البحث الموسوم بـ :(ملامح المقاومة في الشّعر العربي الحديث "سميح القاسم" أنموذجا) ، محاولة الكشف عن صور ، وملامح المقاومة في الشّعر العربي ، لِما لهذا الموضوع من مكانة ، وأهميّة بالغة .

حيث تمّ التطرّق إلى تعريف مصطلح المقاومة ، و أدب المقاومة ، مع الإشارة إلى ظهور المصطلح و تداوله ، و إبراز دور أدب المقاومة و مميّزاته ، كمنطلق للحديث عن شعر المقاومة و مكانته ، وقد تمّ الاستدلال على حضور المقاومة في الشّعر من خلال الشّعر الفلسطيني ، حيث تمّ العرض لمراحل تطوره ، و أهم الموضوعات والمضامين المطروحة في شعر المقاومة، و المتمثّلة في موضوعات الأرض والوطن، والشّهيد ، والمنفى و السّجن.

ثُم تَمّ إبراز ظواهر لغوية و فنيّة ، في شعر "سميح القاسم"، شاعر المقاومة ، وذلك بدءًا بالتّطرّق لحياة الشّاعر ، ومحاولة معرفة خلفيّته الثّقافيّة و الأدبيّة التي كوّنت لديه حِسّ المقاومة الذي غلب على شعره ، وكان وراء تحديد الأدوات الفنيّة و اللّغويّة التي استخدمها "القاسم" في شعره ، باعتباره شاعرًا صاحب قضيّة يدافع من أجلها ، ومن الظّواهر اللّغوية و الفنية المميّزة لشعره ، والتي تناولها البحث ، استخدامه للألفاظ العاميّة و الأجنبيّة، و بروز ظاهرة التّكرار في شعره ، إضافة إلى توظيفه للتّناص .

وفي ختام البحث تمّ استخلاص جملة من النّتائج المتعلّقة ، بإبراز مختلف تجلّيات المقاومة في الشّعر، وكيف تجسّدت في الشّعر الفلسطيني خاصّة لدى الشّاعر"سميح القاسم".

Résumé :

Dans ce travail de recherches ayant trait aux expressions de la “Resistance” dans le poéme arabe moderne dont “samih el-kacem,” modèle , il a été procédé à l’essai de faire ressortir les images et les expressions de la résistance , dans le poéme arabe vu la position et l’importance que représente ce titre dans la literature arabe .

ce ci est clair, dans l’utilisation de l’expression en question en large spectre dans les différents récits, au large du monde arabe avant de son utilisation en tant que pivot dans le poéme arabe, notament par les poétes palestiniens où il a été question des étapes de son progression et des objets et titres contenus dans le poéme de résistance, tel que: la terre, le pays, le marthyr, l’exil et la prison.

Ensuite, il a été fait objet d’étude les facteurs littéraires et art dans le poéme de “samih el kacem” poéte de la résistance à commencer par sa vie en essayant de tirer au clair l’arrière position littéraire et, culturele du poéte qui lui a permis de posséder le sentiment fort de résistance, facteur qui a marqué ses poémes et qui a été derriére les éléments d’art et de litérature qu’il a utilisé, avec

soin dans ses oeuvres .soit les expressions de langue courante (populaire) ou étrangère ou les répètitions fréquentes , ainsi que l'utilisation des expression puisées dans différents récits littéraires.

Enfin, IL a été mis en surface UN ensemble de résultas permettant de tirer au Clair les effets de la résistance dans le poéme comme IL a été question dans celui palestinien notament chez le poéte "samih el-kacem".

الشّكر و التّقدير

في البداية ، إن الحمد و الشّكر لله ، فهو ولي التّوفيق و النِّعم
أتقدّم بجزيل الشّكر ، وخالص الامتنان ، إلى أستاذي الفاضل الدّكتور
"زلّافي ابراهيم" الذي أشرف على هذا العمل ،
و كان نِعم العون ، ونعم المُوجّه ،
وإلى كُلّ من ساهم في هذا العمل ، من قريب أو بعيد، ولو بالكلمة
الطيّبة و أخصّ بالذّكر ، أخي العزيز ، عبد الكريم .

إهـــــداء:

أهدي هذا العمل ، إلى الوالدين الكريمين ، أطال الله في عمرهما أدامهما
سراجًا منيرًا يضيء حياتي ، و يملأها بهجة و سرورًا
أمّي الحبيبة وأبي الغالي

و إلـــى إخوتـي الأعـزّاء ، أدامهـم الله ذخـرًا و سنـدًا

و إلـــى جميـع الأهـل ، والأصدقـاء

جامعة المسيلة

كلية الأداب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

طور الماستر

العنوان :

ملامح المقاومة في الشّعر العربي الحديث

-"سميح القاسم" أنموذجا -

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تخصص : أدب عربي حديث

إعداد الطالبة :

سمية محدادي

إشراف الأستاذ :

د - إبراهيم زلّافي

السنة الجامعية : 2014/2013.

مقدّمة:

تعدّدت أغراض الشّعر العربي و مواضيعه، على مرّ العصور، وفي العصر الحديث ظهرت العديد من المواضيع، و التّوجّهات في كتابة الشّعر، نظرًا للظّروف و التّطوّرات التي أحاطت بحقل الإبداع الأدبي.

و تُعدّ المقاومة من أبرز الموضوعات التي تناولها الشّعر، فهي من أسمى أغراض الأدب و الشّعر، و المقاومة من أهمّ محرّكات الإبداع في الشّعر العربي الحديث ، حيث شغل شعر المقاومة حيّزا كبيرًا من اهتمام الدّارسين ، نظرًا لأهمّيته في حياة الشّعوب ، خاصّة التي تقبع تحت الاحتلال ، فكان بمثابة الإطار الإبداعي النّضالي ، الذي انضوى تحت لوائه العديد من الشّعراء ، يتّخذون من الكلمة سلاحًا ، يلهبون بها حماسة الشّعوب ، و يترجمون إرادتها ، ويسهمون في حثّها على مواصلة النّضال و المقاومة .

ويعتبر الشّعر الفلسطيني من أكثر الأشعار تجسيدًا لروح المقاومة ، حيث طغت النّبرة المقاومة على جُلّ إبداعات الشّعراء الفلسطينيّين ، ومن الأصوات البارزة نجد الشّاعر "سميح القاسم" الذي تميّز تميّزًا بالغًا في هذا المجال .

ولقد كان سبب اختيار هذا الموضوع ، دوافع ذاتيّة و أخرى موضوعيّة ، فأمّا الذّاتيّة منها فقد تمثّلت في الرّغبة في طرح هذا النّوع من المواضيع ، إضافة إلى إعجابي بأعمال الشّاعر "سميح القاسم" ، فهو ورفقاؤه ، يمثّلون أسماء راسخة في كيان ووجدان كُلّ عربي مُحبّ للحُرّية ،

وأمّا الدّوافع الموضوعيّة فقد ارتبطت بالإحساس بأهميّة شعر المقاومة ، وما يلعبه من دور كبير في الحثّ على النّضال ، حيث تعدّدت الدّراسات حول هذا الموضوع ، ولعلّ استمرار القضيّة الفلسطينيّة ، يُعدّ حافزًا كبيرًا لاختيار الموضوع .

وكان الهدف من هذا البحث إبراز مكانة المقاومة و أهميّتها على جميع الأصعدة ، خاصّة في الحياة الأدبيّة ، و تجلّياتها في الشّعر من خلال أهمّ الموضوعات التي يطرحها شعر المقاومة ،

إضافة إلى محاولة الكشف عن أبرز الملامح الفنيّة و اللّغويّة المرتبطة بشعر المقاومة من خلال أعمال الشّاعر "سميح القاسم"، الذي يُعدّ من بين أكثر شعراء المقاومة شيوعًا في العصر الحديث .

ومن بين الدّراسات التي تصبّ في صلب الموضوع، و التي استعنت بها في إنجاز هذا العمل، مجموعة من المصادر و المراجع، و الرّسائل الجامعيّة، ومن بينها : وهج القصيد دراسات في الشّعر العربي المقاوم لأحمد موسى الخطيب ، و كتاب الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال 1948–1968 لغسّان كنفاني .

ولقد دار هذا البحث حول إشكاليّة رئيسيّة متمثّلة فيما يلي : كيف تجلّت المقاومة شعرًا في عصرنا الحديث، وكيف ظهرت ملامحها في الشّعر الفلسطيني، وبالأخص في شعر"سميح القاسم" من خلال الظّواهر الفنيّة واللّغويّة التي تميّز شعره المقاوم ؟

و للإجابة عن هذه الإشكاليّة تمّت عنونة البحث بـ : (ملامح المقاومة في الشّعر العربي الحديث "سميح القاسم" أنموذجًا).

و قد سارت الدّراسة وفق المنهج الوصفي التّحليلي ، نظرا لطبيعة الدّراسة ، التي تحدّد المنهج ، حيث يتركّز المنهج الوصفي في الجانب النّظري ، بينما يتركّز المنهج التّحليلي في الجانب التّطبيقي .

و تمّ تقسيم البحث حسب ما تقتضيه الدّراسة إلى : مقدّمة ، شملت الإحاطة بالموضوع ، وذكر أسباب اختياره ، والمنهج المتّبع ، و الأهداف المنشودة ، و المراجع المعتمدة .

ثمّ تلاها المدخل الذي ورد بعنوان: مفهوم أدب المقاومة و دوره، فقد أردت في البداية تقديم تعريف للمقاومة ، و تحديد مفهوم أدب المقاومة ، و ظهور هذا المصطلح وتداوله ، و إبراز دور أدب المقاومة و أهميّته ، فكان هذا المدخل يمثّل تمهيدًا يرتكز عليه ، قصد الحديث عن شعر المقاومة ، وقد وقع الاختيار على شعر المقاومة الفلسطيني كأبرز شعر تتحدّد فيه جميع ملامح المقاومة بمختلف أشكالها، حيث جاء الفصل الأوّل بعنوان: حضور المقاومة في الشّعر الفلسطيني، و قد تمّ التّعرّض في بداية هذا الفصل لمكانة شعر المقاومة ، وما يكتسيه من أهميّة ، خاصّة الشّعر الفلسطيني الذي تطغى عليه روح المقاومة بجميع تجلّياتها ، و بعدها تحدّثت عن مراحل تطوّر الشّعر الفلسطيني بهدف تسليط الضّوء على أهمّ التّحوّلات و المحطّات التي مرّ بها شعر المقاومة الفلسطيني ، ثمّ تطرّقت لأهمّ موضوعات و مضامين هذا الشّعر والتي تمثّلت في الوطن ، والشّهيد، والمنفى والسّجن ،فلا يكاد يخلو شعر المقاومة من هاته المضامين .

وفي الفصل الثّاني : ظواهر لغويّة و فنيّة في شعر "سميح القاسم" شاعر المقاومة ، بدأ الحديث بنبذة عن حياة الشّاعر ، لمعرفة العوامل التي أسهمت في تصنيفه كشاعر مقاومة ، ثمّ تناولت اللّغة في شعر "سميح القاسم" ، و التي من أبرز ظواهرها الألفاظ الدّالة على المقاومة في شعره ، و ظاهرة التّكرار ، بالإضافة إلى استخدامه الألفاظ العاميّة و الأجنبيّة ، ثمّ التّناص وشمل التّناص الدّيني ، و التّناص الأسطوري . أمّا الخاتمة فقد كانت عبارة عن حوصلة أو مجموعة استنتاجات مُستخلصة من هذه الدّراسة.

إنّ أيّ عمل لا يخلو من صعوبات ، وتحدّيات ، لكن لابدّ من عدّها حوافزا تقوّي العزيمة، وتزيد من الإصرار والتّحدّي ، ومن الصّعوبات التي واجهتني أثناء البحث ، تعدّد الجوانب المتعلّقة بهذا الموضوع، وعدم القدرة على الإلمام بها جميعًا ، بسبب ضيق الوقت، فكان لزامًا عليّ محاولة اختيار وانتقاء العناصر التي تتناسب مع طبيعة الدّراسة ، بالقدر الذي أستطيع الإحاطة به ، إضافة إلى تعذّر الحصول على بعض المراجع التي تخدم الموضوع وكان الوصول إليها صعبا.

وفي الأخير أتقدّم بالشّكر الجزيل ، إلى أستاذي الفاضل الدّكتور "زلاّفي إبراهيم" ، الذي لم يبخل عليّ بجهده و وقته ، و تقديم النّصائح التي أنارت لي الطّريق أثناء رحلة البحث ، و أتمنّى له

المزيد من التّقدّم و النّجاح.

المـدخـل :

1 – مفهوم أدب المقاومة ودوره

أ – تعريف المقاومة.

أ –1– لغـة.

أ –2– اصطلاحا .

ب – مفهوم مصطلح أدب المقاومة .

ج – ظهور المصطلح وتطوّر تداوله.

د– دور أدب المقاومة ومميزاته.

1-مفهوم أدب المقاومة و دوره :

المقاومة هي كلمة السّر وراء كل حركات التحرّر ، وهي أيقونة الكفاح والنّضال ، فروح المقاومة هي المحرّك الأساسي لمكافحة الشّعوب ضِدّ كُلّ أشكال العُدوان والاستغلال ، ولمّا كانت المقاومة المسلّحة هي السّبيل الأنجع في مجابهة الظّلم والاحتلال و مقارعة العدوان، فقد لازمتها على مرّ العصور المقاومة بالكلمة التي تلعب دورًا هامًّا في تقوية العزيمة واستنهاض الهِمَم ، والحثّ على المثابرة و الاستمرار، حيث عكف الأدباء والمثقّفون على تسخير أعمالهم، وأقلامهم، و بمختلف ألوان التّعبير الفنّي لنصرة قضايا شعوبهم ، وتصوير معاناتهم، مكتسين عباءة المقاومة وحاملين لواء النّضال .

أ – تعريف المقاومة:

أ -1- لغة:

ورد عن " ابن منظور " في معجمه :

يُقال : مازلت أُقَاوِم فلانا في هذا الأمر ، أي أُنازِلُهُ[1]

كما ورد في " المعجم الوسيط ":

قاومه : في المصارعة وغيرها : قام له.

وقاومه في حاجة: قام معه فيها

تقاوموا في الحرب : قام بعضهم لبعض[1]

[1]- ابن منظور ، لسان العرب ، مادة قوم ، دار المعارف ، القاهرة ، المجلد 5 ، ج 42 ، د ت ، ص 3786.

أ -2- اصطلاحا:

يقول " غسان كنفاني " عن المقاومة في مقدّمة كتابه الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال 1948- 1968 : " إرادة التّحرير ليست سوى النّتاج الطّبيعي والمنطقي والحتمي للمقاومة في معناها الواسع: المقاومة على صعيد الرّفض،وعلى صعيد التمسك الصلب بالجذور والمواقف "[2]، والعمل السّياسي والثّقافي هما اللّذان يمثّلان الأرض الخصبة للمقاومة المسلّحة في رأيه .

والمقاومة عند العرب تعبير عن إرداة الحياة والطّموح في تحقيق حضور حُرّ ومستقلّ وفاعل فهي ليست حالة وقتيّة ، وإنّما هي مبدأ حياتي أصيل في عقل و وجدان الإنسان العربي، وهي بالتّالي مبدأ قائم على عشق الحريّة وإثبات الحضور و الفاعليّة وردّ العدوان والتّعامل مع الآخر بإخاء و نِدِيّة .[3]

ويرى السّيد نجم في حديثه عن المقاومة أنّها تقع بين "الحُريّة " و " العدوان " حيث الحُريّة هي المسعى الواعي للتّخلّص من الأضرار (فالعطس مسعى بيولوجي ، ولا إرادي للّتخلص من أضرار مسبّبات الأمراض من الجهاز التّنفسي ، بينما الفعل الحرّ يتّسم بالإرادة الواعية لمواجهة تلك الأضرار) . وحيث أنّ العدوان يبدأ من التّهكم والاحتقار حتّى الإرهاب بكلّ أشكاله والحروب النّظامية ، فالفعل الواعي الحرّ المناهض للفعل العدواني هو الفعل المُقاوم .

1- مجمع اللّغة العربيّة ، المعجم الوسيط ، مادة (قام ،قومت) ، مكتبة الشّروق الدّولية ، مصر ،ج5، ط 4، 2004 ، ص 767-768.

2-غسّان كنفاني، الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال 1948-1968، مؤسسة الدّراسات الفلسطينيّة،بيروت،ط1، 1968، ص9

3- صالح أبو أصبع وآخرون ، ثقافة المقاومة في الآداب والفنون، ج2 ،جامعة فيلادلفيا، مطبعة الخط العربي ، الأردن 2006 ، ص 118.

لذلك تمثّل "المقاومة " الرّابط الموضوعي بين العدوان والحريّة ، فلا مقاومة غير مدعّمة بمفاهيم الحريّة لمجابهة العدوان ، ولا حريّة بلا مقاومة في مواجهة عدوان ما .[1]

وقد اتّسع مفهوم المقاومة بدخوله في أمداء المقاومة الثّقافية الفسيحة ، وبات لصيقًا بمفاهيم الصّمود والتّضامن والشّجاعة والوعي الذّاتي والدّفاع عن الحقوق المشروعة وسواها، إلى جانب قيم البطولة والمقاومة المسلّحة .

والتّعريف الأشمل للمقاومة اتّسع مؤخّرا ليشمل المقاومة النّفسية والسّياسية والاقتصاديّة فقد غدت المقاومة بمثابة ردة فعل ضِدّ الهيمنة والاستبداد من جهة ، ودفاع الكائن عن مجاله الحيوي والإنساني من جهة أخرى ، وهذا المجال هو المحيط والمجتمع ، والتّشكيلات الاجتماعية ، والمقاومة في الأساس ردّ فعل دفاعي عن مكوّنات البيئة والمحيط ، ثمّ شملت المقاومة تقوية عناصر الضّعف الداخلي .[2]

فالمقاومة في مفهومها الرّاهن لا تقتصر على مواجهة المحتلّ الأجنبي أو المعتدي أو الغازي بأشكاله الجديدة ، بل تتّصل بمواجهة ضعف الذّات وخذلانها من جهة ، وبمواجهة الموضوعات النّاشئة عن الآثار الباقية للاستعمار والتّبعات المستمرّة للاستعمار غير المباشر مثل التّقسيم ، العنف الطّائفي ، والعداءات القائمة على الاختلافات اللّغوية .[3]

ب . مفهوم مصطلح أدب المقاومة :

1– السّيد نجم ، لماذا أدب المقاومة ، وأدب الحرب منه ؟ مجلّة نزوى ، العدد 35 ، 2009/07/27 ، ص 6.

2 – زهير جبور وأخرون ، الإبداع والرؤى في تجربة زياد نجيب ذيبان ،منشورات اتّحاد الكتّاب العرب،دمشق،2004، ص 11.

3– زهير جبور،الإبداع والرّؤى في تجربة زياد نجيب ذبيان، ص 16 .

- أدب المقاومة :

نظر الباحثون والنّقاد لأوّل مرّة إلى أدب المقاومة بوصفه موثّبات روحيّة تزيد من حماسة الاندفاعة إلى الدّفاع عن الوطن .

فأدب المقاومة: رفض للواقع ، وإيمان بالقدرة على تغييره ، وتعبير عن الألم ، و غضب عارم ضِدّ صور القمع ، والاضطهاد، والاستلاب ..وأمل في استشراف حياة أخرى[1].

يقول السّيد نجم في تعريفه لأدب المقاومة : " هو الأدب المعبّر عن الذّات الجمعيّة الواعية بهويّتها ، والمتطلّعة إلى الحريّة ، في مواجهة الآخر العدواني ،على أن يضع الكاتب نصب عينيه جماعته،أمّته ، ومحافظا على كلّ ما تحافظ عليه من قيم عليا وسعيا للخلاص الجماعي والحريّة"[2]

و" أدب المقاومة " كمصطلح قد يتداخل ويتبادل أحيانا للتّماس الواضح مع مصطلحات (الأدب الملتزم) ، (الأدب الثّوري) ، (الأدب النّضالي)، إلا أنّه أشمل وأكثر رحابة فنيّة .

وهناك من يتوقّف عند مفهوم " الأدب المقاوم" شارحا إيّاه مفرّقا فيه بين المقاومة في الأدب ، والمقاومة بالأدب ، "فالمقاومة في الأدب " تسعى إلى تصوير المقاومة تصويرا فنّيًا جماليًّا ، بينما ينصرف تعبير "المقاومة بالأدب " إلى معنى أن يكون الأدب ذاته حالة مقاومة ، وأن الشّعر لا يمكن أن يكون مقاومًا بأيّة حال ، و ما هو إلّا حالة تحريضيّة ،"المقاومة بالأدب" أداة وأسلوبا لمقارعة الأخصام ،و الأدب لا يتعدّى أن يكون فعلا كلاميًّا يسبق فعل المقاومة ، ويحرّض عليه ،

[1]- أحمد موسى الخطيب ، وهج القصيد ، دراسات في الشّعر العربي المقاوم ، جامعة البترا ، الأردن ، ط1 ،2009 ، ص108 .

[2]- السيد نجم ، لماذا أدب المقاومة و أدب الحرب منه ؟ ، ص 10 .

وهو ملمح واضح من ملامح شعر كلّ من : محمود درويش ، توفيق زياد .....، وأعمال غسّان كنفاني..... وغيرهم .

والأدب المقاوم يُعدّ في طليعة أنماط المقاومة العليا بوصفه باحثًا عن الحُريّة والكرامة والجمال والسّعادة ، وبوصفه جزءًا لا يتجزّأ من ثقافة المقاومة عند الشّعوب ، وهي ثقافة تؤكّد صفة الرّوح الإنسانيّة الخلقيّة لمفهوم المقاومة .[1]

ج- ظهور المصطلح و تطور تداوله :

لقد عرفَ حقل الدّراسات الأدبيّة مصطلح "الأدب المقاوم " في النّصف الثّاني من القرن العشرين، ولعلّه بدأ يتبلور وينتشر في السّتّينات من القرن ذاته،حيث بدأنا نقرأ ونسمع مصطلحات مثل " شعر المقاومة "،و " شاعر المقاومة" ، و " أدب المقاومة " ، وكان المقصود أدباء فلسطين تحت الاحتلال وما ينجزونه ، وأدباء فلسطين في مهاجرهم أيضا .[2]

بدأ شيوع هذا المصطلح وتداوله تداولاً واسعًا في أدب المبدعين الفلسطينيّين منذ منتصف السّتّينات ، إثر اكتشاف النّغمة المقاومة في أدبهم ، وربّما لعبت آثار معركة (يونيو 67) دورًا في شيوع المصطلح ، بحيث راج وانتشر أكثر من مصطلحات شاعت قبله : "أدب المعركة ، "أدب الحرب " ، " أدب النّضال" كما رسخ بعد الانتفاضة الأولى والثّانية و حتّى الآن .[3]

1- حسين جمعة ، ملامح في الأدب المقاوم "فلسطين أنموذجا " ، الهيئة العامّة السّورية للكتاب ، دمشق، ط 2009 ، ص 6 .
2- أحمد موسى الخطيب ، وهج القصيد ، ص 09 .
3- فيصل صالح القصيري ، شعر المقاومة عند محمود درويش ، مجلة آداب الفراهيدي ، العدد 2 ، السّنة الأولى، ص 287 .

اندفع الأدباء والنّقاد والنّاشرون وراء أشعارهم ، وكرّسوا مصطلح المقاومة الذي انتشر انتشارًا سريعًا جدًّا ، واكتسب قوّة اصطلاحيّة هائلة وضاربة واتّسمت التّجربة الأدبيّة الفلسطينيّة في هذه المرحلة بسمات هذا المصطلح – نظريًّا وإجرائيًّا– وأصبح مصطلحًا عالي التّداول عند الأدباء والنّقاد والدّارسين العرب .

وعلى الرّغم من قدم المصطلح على صعيد الاستخدام العام ، إلاّ أنّ تكريسه كمصطلح أدبي وثقافي قائم كان في النّصف الثّاني من ستّينات القرن الماضي ، إذ أطلق "غسّان كنفاني" على أدب فلسطين المحتلّة : " أدب المقاومة" ، والذي اشتقّت منه صفة شعراء المقاومة [1] .حيث بدأ مصطلح "أدب المقاومة" في التّداول للدّلالة أو الإشارة إلى مجموعة الأشعار الواردة من الأرض المحتلّة بفلسطين من "محمود درويش " و " سميح القاسم " و "توفيق زياد " ....والشّاعر المعاصر بعامّة أسهم بدور كبير في مقاومة كُلّ أنواع الاحتلال ، فكان للأدب العربي في لبنان بخاصّة دوره في مقاومة الاحتلال في جنوب لبنان ، وكذلك شأن الأدب في سوريا ، ودوره في مقاومة الاحتلال في الجولان .

ويمكن التّوسع في هذا المفهوم ليشمل مقاومة صور القبح، والظّلم ، والاضطهاد ، والتّهميش ، على الأرض العربيّة ، سواء ما كان منها تحت الاحتلال أو غير ذلك .

1– المرجع نفسه، ص 287– 288

على هذا النّحو يمكن أن تندرج كثير من التّجارب الأدبيّة العربيّة تحت مصطلح "الأدب المقاوم"[1]. فهناك الكثير من الدّول العربيّة تعرّضت للاحتلال كالجزائر وتونس ،....وغيرها حيث تعرّضت لمختلف أنواع الاستغلال والظّلم ، وانبرى أدباء هذه الأقطار يدافعون عن كرامة شعوبهم ويصّعدون من لهجة المقاومة ، فلا الزّمان ولا المكان كفيل بحجب أروع الأصوات والأقلام التي ارتفعت وانتصبت لتعلن الثّبات بمبدأ المقاومة حتّى الرّمق الأخير ، ولا قوّة المستعمر ومكره ، وطول فترة الاحتلال تحول دون الإبداعات الأدبيّة ، والرّوائع الشّعريّة التي تبرز من هنا وهناك لتشدّ العزائم ، وتقف حائلا دون التّخاذل ، ونسيان الواقع ، واقع أنّ هناك شعوبًا مازالت تناضل في سبيل التّحرر والاستقرار ، فها هي فلسطين الحبيبة ، مازالت تقبع تحت نير الاحتلال الصّهيوني ، تتجرّع مرارة الظّلم والتّهجير والتّقتيل حتّى ارتوت بدماء أبنائها ، أبناؤها الذين يولد في قلب كلّ واحد منهم مبدع ، وفنّان ، وشاعر من وحي الألم والتّضحية و النّضال ، ولعلّ الأدب الفلسطيني هو أصدق مثال للأدب المقاوم ، حيث تطوّر هذا الأدب بتطوّر الأزمة ، وبمرور الأجيال المتعاقبة التي تحمل مشعل المقاومة جيلاً بعد جيل .

د – دور أدب المقاومة ومميزاته :

لعب الأدب عبر تاريخ البشريّة ومازال . باعتباره فنًّا من فنون التّعبير. دورًا جوهريًّا فيما شهدته وتشهده الإنسانيّة من أحداث و وقائع ، فلقد ساعد الأدب على تركيز هذه الأحداث والوقائع أحيانًا ، كما عمل على تغييرها أحيانًا أخرى ، وذلك وفق الظّروف المختلفة والملابسات المتبدّلة،

1– أحمد موسى الخطيب ، وهج القصيد ، ص 09.

وحتّى عندما يكون الأدب تعبيرًا عن خلجات النّفس الدّاخلية وإحساساتها الذّاتية ، فإنّه لا يمكن فصله فصلا نهائيًّا ، أو جعله في منأى تام عن هذه الظّروف والملابسات .[1]

وإذا كانت مقدرة الفنّان و إمكانيّات الخلق هي التي تعطي العمل الفنّي درجة تميّزه وتفوّقه ، فإنّ الخيال و إن كان جزءًا أساسيًّا من عناصر العمل الأدبي ، إلاّ أنّه لا يستطيع وحده أن يخلق شخصيّات نمطيّة يتجسّد فيها ما يضطرب في مرحلة تاريخيّة محدّدة من الأحداث التي تزلزل الضّمير الإنساني .[2]

فالأدب كصورة مكتوبة مؤثّرة لما جرى ويجري للأمم وعليهم ، فلا بدّ وأن يتّخذ موقفًا حيال العدوان والهيمنة ، إذ هو التّعبير عن الأفراح والأحزان والتّصوير للأحلام والآمال ، فكلّما أُصيبت أُمّة بحادث يظهر النّقاش في دور الأدب والفنّ ، فدور الأدب على الأمم لا يُنْكَر ، خاصّة إذا تحدّثنا عن دوره في إطار أدب المقاومة .

فأدب المقاومة هو الذي يحثّ النّاس على الهرب والنّجاة ممّن يحاولون فرض السّيطرة عليهم بالإكراه والجيّد منه لا يعنيه رسم سبل النّجاة أو الهرب بل يكتفي بالرّصد والإيحاء الفنّي.[3]

وهو يسعى في النّهاية إلى تهيئة الرّأي العام لفكرة " المقاومة " ، حيث يتّضح دوره وأهميّته من خلال الأهداف التي يرمي إلى تحقيقها من خلال عِدّة محاور وهي كالآتي :

1– أحمد فطري ، الأدب السّياسي عند عبد الكريم غلاّب ، دار الثّقافة ، الدّار البيضاء ، المغرب ، ط 1، 1982 ، ص 13 .
2– عبد العزيز شرف ، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر ، دار الجيل ، بيروت ، د ت ، ص 63 .
3 صالح أبو أصبح ، ثقافة المقاومة في الآداب والفنون ، ج 2 ، ص 63 .

– التّركيزعلى الظّروف البغيظة التي يعيشها النّاس، وربّما بمقارنتها بأناس آخرين أكثر حُريّة، وأفضل حالاً .

– تحديد الآخر الذي يجب على الجماعة أن تنجو منهم ، الذين يجب عليهم إضعاف قوّتهم.

– يُقوّي أدب المقاومة دعوته بحثّ النّاس على العمل ، ووصف النّتائج المتوقّعة ، والاستشهاد بالتّجارب والنّماذج النّاجحة .

– واجب أدب المقاومة تغيير الحالات الذّهنيّة والمشاعر ، دون الوصيّة بإجراء عمل مُعيّن بذاته، يكفي أن يكون المرء على أهبة الاستعداد باليقظة .

– وربّما الهدف الأساسي لأدب المقاومة هو وصف كُلّ سيطرة على أنّها خطر ، بهدف تحديد وتحليل أنواع تلك السّيطرة التي يتعرّض لها الفرد ، الجماعة ، الدّولة ، الأمّة ، ثمّ التّمهيد للتّخلّص من تلك السّيطرة .

– وترجع أهميّة أدب المقاومة إلى أهميّة إزكاء روح المقاومة لدى العامّة والخاصّة .[1]

كما تبرز أهميّة أدب المقاومة في كونه يدعو الشّعب بأسره إلى النّضال من أجل الوجود القومي ، وهو أدب نضالي لأنّه يُلهم الوعي القومي ويُنِيره ويرسم خطوطه ، ويُتيح أمامه مجالات جديدة لا حدود لها ، أدب نِضالي لأنّه يتولّى مسؤوليّة الأمور ولأنّه يُمثّل إرادة معقودة جاءت في وقتها .

1- السّيد نجم ، لماذا أدب المقاومة وأدب الحرب منه ؟ ، ص 8 .

وعلى صعيد آخر بدأت الآداب الثّقافيّة والأقاصيص والملاحم والأغاني الشّعبية تتغيّر و تتحوّل بعد أن كانت قبل ذلك جامدة .[1]

ولأدب المقاومة عمومًا وجهه الإنساني العام الذي لا يندرج في تصويره للصّراع البشري تحت أيّ أُطر قوميّة أو قوالب اجتماعيّة ، والجانب الإيجابي العام في هذا اللّون من ألوان الأدب هو أنّه من عوامل " التّجمع " لا من عوامل " الفرقة" والأدب في ذاته نشاط إنساني يقاوم عوامل الضّعف والخور التي قد تُلمّ بالنّفس البشريّة في لحظات الانكسار، فليس هناك عمل أدبي، جاء في القديم والحديث يمكنه أن يخلو من هذه السمة البارزة وهي (المقاومة) .[2]

فتُطالعنا في الآداب العالميّة جميعها أسماء كثيرة من الأدباء اللّامعين الذين سخّروا إبداعاتهم لخدمة قضايا مواطنيهم ومعانقة كُلّ مشاكل شُعوبهِم ، ومارسوا المقاومة ضِدّ الاستعمار بكلّ أصنافه وأنواعه [3].

وفي الأدب العربي قديمه وحديثه ، هناك الكثير من الأدباء الذين التزموا بروح المقاومة في كتاباتهم وأشعارهم ، وأحسّوا بالدّور الكبير الذي يقومون به ، وبأهميّة الرّسالة التي يحملونها ، حيث يقول " محمّد ديب" : " في قلب كُلّ كاتب حق ، وكُلّ فنّان صادق ، تكمن رسالة وطنيّة لا تقوم له قائمة بدونها "[4].

1- عبد العزيز شرف ، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر ، ص 64-65.

2- المرجع نفسه ، ص 66 .

3- أحمد فطري ، الأدب السياسي عند عبد الكريم غلّاب ، ص 13-14 .

4- عبد العزيز شرف ، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر ، ص 69 .

وعن أهميّة رسالة الأديب المقاوم يتحدّث "حيدر توفيق بيضون" عن "غسّان كنفاني" بقوله : " غسّان كنفاني أديب عربي ملتزم ومهم ، وقصة اغتياله في بيروت تأتي توقيعًا أنّ غسّان كنفاني كان مُحقًّا في أدبه لا بل وأكثر من ذلك كان مُؤثّرًا "[1] ، "فغسّان كنفاني " من الأدباء العرب الذين نذروا حياتهم وأدبهم في خدمة قضيّة عربيّة تمثّل أسمى معاني المقاومة والنّضال ن وهي القضيّة الفلسطينيّة وهو بدوره يتحدّث عن دور المقاومة في كتابه قائلاً : " وفي الأساس فإنّ أدب المقاومة في فلسطين المحتلّة قد حدّد دوره بنفسه ، وبالنّسبة لشعراء المقاومة على وجه الخصوص فإنّ الشّعر سلاح ، ما في ذلك شك ، ولم تكن كفاءته وجدارته بالنّسبة لهم إلّا التزامه بدوره المقاوم الواعي ."[2]

أمّا شاعر المقاومة "محمود درويش" باعتباره صاحب قضّية يسعى إلى إيصالها إلى القارئ ، فيقول : " تعرفون كم هو صعب أن يكون المرء فلسطينيًّا ولكنّي أعرف أكثر كم يكون من الصّعب أن يكون الفلسطيني شاعرًا لأنّه مُحمّل بمهام قد لا يتحمّلها الشّعر ، موزّع بين متطلّبات جماعيّة ودور لا يستطيع القيام به وحده "[3].

1- حيدر توفيق بيضون ، غسان كنفاني الكلمة والجرح ، دار الكتاب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1995 ، ص 110 .

2- غسان كنفاني ، الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال 1948 -1968 ، ص 54 .

3- تهاني شاكر ، محمود درويش ناثرًا ، دار الفارس ، الأردن ، ط 1، 2004 ، ص 12.

وها هو " رمضان حمود " الشّاعر الجزائري يحثّ الشّعراء على الالتزام بواجبهم ويهيب بهم إلى أن يرقوا إلى مستوى الآمال المنوطة بأعناقهم في قوله :" فيا أيّها الشّعراء الأحداث بكم تحيا الأمّة، وبكم تموت لا قدر الله،فأنتم رُسُل الحرّية والسّعادة الأبديّة إن شئتم، وأنتم النُّعاة إن أردتم ."[1]

وممارسة المقاومة تَعدّت عند عدد من الأدباء نطاق القول إلى الفعل ، إذ لم يكتفوا بما نظموه من قصائد وأشعار متحمّسة أو ما كتبوه من قصص ومقالات ملتهبة ، بل تصدّروا المظاهرات وحملوا السّلاح وقادوا الثّورات ، وإذا كان موقفهم النّضالي هذا قد قادهم إلى دهاليز الزّنزانة وغياهب المنفى وحبال المشنقة ، فإنّ هذا الموقف أيضا هو الذي جعل أدبهم ينبض بالحياة والواقعيّة ، ويطبع بالصّمود والاستمراريّة .[2]

فكان الأديب شاعرًا وناثرًا ، مواكبًا لحركة النّضال الوطني والعربي ومسهمًا فيه بقلمه وروحه ، وكان يتحسّس في كُلّ ذلك عروبته ويستلهم منها قِيَمه ومُثُلَه ومطامحه .

وكان الأديب أحيانا يتحوّل إلى رمز للفداء والتّضحية حين يحمل القلم والرّشاش معًا ، ويستشهد في أرض المعركة من أجل الحُرّية والمبادئ التي يُؤمن بها شعبه ، كما فعل الشّاعر الشّهيد " الرّبيع بوشامة" والأديب القصّاص " أحمد رضا حوحو " وكما فعل قبلهما الشّاعر الفلسطيني " عبد الرّحيم محمود " [3] الذي قال :

سأحمل روحي على راحتي وألقي بها في مهاوي الرّدى

---

[1]– صالح خرفي ، شعر المقاومة الجزائريّة ، الشّركة الوطنيّة ، الجزائر ، د ت ، ص 208 .

2– أحمد فطري ، الأدب السّياسي عند عبد الكريم غلّاب ، ص 15 .

3– عبد الله الرّكيبي ، فلسطين في الأدب الجزائري الحديث ، دار الكتاب العربي ، الجزائر، د ت ، ص 37 .

فإمّا حياة تسرّ الصّديق وإمّا ممات يغيظ العدى

لعمرك إنّي أرى مصرعي ولكن أغذ إليه الخُطى [1]

وكانت مواقف الشّعراء والأدباء في الماضي وهم يبذلون أرواحهم من أجل العُروبة ، الشّعلة التي أنارت الطّريق لمن جاء بعدهم ومهّدت دروب الحرّية للأجيال الأخرى [2]، والشّيء الذي يمكن قوله هو أنّ الجائزة الكبرى التي ينالها هذا الأدب الثّوري النّابع من أرض المعركة وضمير الفنّان وإخلاصه ، هي أنّه بقاء يطول على مرّ الزّمن و يمتدّ إلى مناطق أخرى وعصور ما تزال مقاومتها في حاجة إلى الإمدادات الرّوحية والفكريّة .[3]

عموما وعلى ضوء ما سبق يمكن استخلاص أهمّ مميّزات أدب المقاومة والمتمثّلة في :

1- أدب المقاومة يحرّض النّاس على النّجاة ممّن يحاولون فرض السّيطرة والهيمنة عليهم

والملك لا يحميه إلّا أروع ثبت الجنان على الجلاد جليدُ

2- أدب المقاومة يصوّر ما يعيش النّاس فيه تحت الاحتلال والعدوان مقارنة مع العيش الحرّ الطّليق:

وكم صريع رضيع ظلّ مختطفا عن أمه فهو بالأمواج قد فطما

1 - ديوان عبد الرّحيم محمود ، دار العودة ، بيروت ، 1999 ، ص 120 .

2- عبد الله الركيبي ، فلسطين في الأدب الجزائري الحديث ، ص 38 .

3- محمد الصّالح خرفي ، أبو القاسم خمّار بين ثورة الشّعر وشعر الثّورة ، جمعيّة الإمتاع و المؤانسة ،الجزائر ، د ت ، ص 15.

3- أدب المقاومة يدور حول كلمات سرّ منها: الحرّية (التي تمثّل البعد الإنساني الذي يتميّز به أدب المقاومة)[1] ، الحمية ، العصبيّة ، الوطنيّة ،التّضحية ، الوحدة .

إنّ السّهام إذا ما فرّقت كسرت وإن تجمعن يوما ليس تنكسر

4- أدب المقاومة يثير الباعث والرّغبة في الرّد على الاغتصاب والعدوان .

5- أدب المقاومة صورة فنيّة للمقاومة والجهاد.

6- أدب المقاومة صورة منظومة أو منثورة لما جرى أو يجري على الأمم والمدن ، والممالك من الحروب والمصائب والأحداث المؤلمة.

7- أدب المقاومة وراء وصف كلّ سيطرة على أنّها خطر يتهدّد الأمّة أو المجتمع .

8- أدب المقاومة مساهمة الأدباء الملتزمين في حركة واعية جماعيّة جهاديّة .

9- أدب المقاومة يزرع في القلوب حبّات الأمل والرّجاء في الحريّة والنّجاة .

10- أدب المقاومة وثائق أدبيّة مؤثّرة للأحداث التّاريخيّة.

11- أدب المقاومة يدعو إلى الوعي واليقظة :

يا أيّها العرب في أقصى محلّتهم أنتم نيام و من يشنا كم سهر[2]

ومن مميّزات أدب المقاومة تظهر أهميّته القصوى في إعلاء كلمة الكفاح والنّضال في سبيل الحريّة والكرامة للإنسان، فهو صوت مقاومة الشّعوب ، والمؤرّخ لأحداثها ومآسيها ومآثرها .

---

[1]- عبد العزيز شرف ، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر ، ص 70 .

2- صالح أبو أصبع ، ثقافة المقاومة في الآداب و الفنون ، ص 64 .

الفصل الأوّل : حضور المقاومة في الشّعر الفلسطيني .

1- مكانة شعر المقاومة.

2- مراحل تطوّر الشّعر الفلسطيني المقاوم :

أ – المرحلة الأولى: مرحلة ما قبل النّكبة .

ب – المرحلة الثّانية: مرحلة ما بين النّكبة و النّكسة.

ج – المرحلة الثّالثة: مرحلة ما بعد نكسة 1967.

3 – أهم موضوعات و مضامين شعر المقاومة :

أ – الأرض و الوطن .

ب – الشّهيد.

ج – المنفى و السّجن .

بعد عرض مفهوم المقاومة ، و أدبها ، و دور الأدب المقاوم ، في المدخل التّمهيدي ، سيتمّ في هذا الفصل الحديث عن شعر المقاومة ، خاصّة الشّعر الفلسطيني ، و مراحله و أهم مواضيعه.

1- مكانة شعر المقاومة :

الشّعر هو اللّغة ، لغة التحدّي ، إنّه بداية الوصول إلى المستقبل ،فالشّعر هو الدّلالات الزّمنية الثّلاث: الماضي ، الحاضر ، و المستقبل و قديما قيل : "الشّعر ديوان العرب "[1]، فهو الذي يجمع أخبارهم و تاريخهم، و يحكي بطولات فرسانهم، وحروبهم.

و لقد كان الشّعر و لا يزال أسرع الظّواهر الأدبيّة تجاوبًا و تفاعلاً مع ظروف المجتمعات و الأمم ، وأقواها إرهاصًا بتطوّراتها ، كما كان الشّعر كذلك، بالنّسبة لدوره و فعاليته في المجالات النّضالية و الثّقافية و السّياسية و الاجتماعيّة عمومًا، و خاصّة في حياة الشّعوب و الأمم التي عانت ضروفًا قاسية ، و ناضلت ضدّ الظّلم و الاضطهاد ، فبرز لها شعراؤها الذين صوّرا آلامها ، و عبّروا عن أمانيها ، و أرهصوا لثوراتها و شاركوا فيها بسلاح الكلمة المفعمة بالأمل و الصّمود و التّحدّي، و التّحريض على مقاومة الظّروف القاسية التي تتعرّض لها شعوبهم من اعتداء على أوطانها ، و سلب لحقوقها ، و استعباد لحرّيتها و كرامتها[2].

[1]- محمد الصّالح خرفي ، أبو القاسم خمّار بين ثورة الشّعر و شعر الثّورة ،جمعيّة الإمتاع و المؤانسة،الجزائر، د ت، ص5.
[2]- فتحيّة محمود ، محمود درويش و مفهوم الثّورة في شعره ،المؤسّسة الجزائريّة للطّباعة 1987 ، ص10.

فقام الشّاعر الثّائر بدور الرّيادة و القيادة في المجتمع مع معركة التّحرير الوطني التي شملت كافّة الوطن العربي ، فأصبح كلّ الشّعراء الثّوريين ملتزمين بالقضايا الوطنيّة و العربيّة و الإسلاميّة عاكسين كلّ الأحداث في شعرهم[1].

و قد عبّر الشّعر العربي الحديث على نحو واضح عن التّطور الخلاّق في النّفس العربيّة النّزاعة للحريّة و الكرامة و التحم فيها الشّعراء بأبرز قضايا الأمّة و أجلّ أمانيها و في طليعتها تحرير الأمّة من نير الاستعمار و الاحتلال ، و توحيد الوطن الممزّق ، فكان الشعر في هذه المرحلة مواكبًا للأحداث محرّضا للجماهير على متابعة المقاومة ، كما كان في جانبه الآخر موثّقًا للأحداث بفجائعها و انتصاراتها .

فكان لكلّ صوت شعريّ نبرته المميّزة ، يدركها المتلقّي بعد أن يتعرّف عليها و يستمتع بما فيها من عذوبة أو قوّة ، منِ رقّة أو رصانة.

فالكلمة في البدء حماسة و إيقاظ و توجيه ، و هي في قلب المعركة تسبيح يذوب معه الجسد و تسمو الرّوح إلى عوالم الخلود ، و في الخاتمة أهزوجة النّصر.

و في تاريخنا العربي و الإسلامي، واكب الشّعر المعركة، و خاض الشّعراء الفرسان غمار الحرب، ففي العصر الجاهلي كان الشّعر يسبق الحروب و يرافقها ، و يعقبها ، فكان الشّعر أداة

[1]- محمد الصّالح خرفي ، أبو القاسم خمّار بين ثورة الشّعر و شعر الثّورة ، ص 6 .

الحماسة للحرب ، والكلمة التي تدعو إلى الثّبات في المعركة ، و وسيلة إعلان المفاخر بعد النّصر[1].

و قد استعمل الشّعر سلاحًا في مقاومة المستعمرين من الانجليز و الفرنسيين ، كما استعمل في مقاومة الاحتلال اليهودي ، و كان و ما زال أشدّ عليهم من وقع النّبل ، لأنّه يحرّض الشّعب على كراهيتهم و مقاومتهم ، فكم من شاعر نفي عن وطنه، و كم من شاعر سُجِن لقصيدة قالها رافضًا الاحتلال[2].

حيث كان الشّعر الثّوري أداة من أدوات النّضال في سبيل تحرير الوطن ، فالثّورة هي تلك الغاية التي يسعى الشّعر إلى خدمتها إلى جانب الوسائل الأخرى كالخطب الحماسيّة و البندقيّة ، إنّه وسيلة لتثوير الشّعب و سلاح في وجه المستعمر[3].

فقد صاح في وجوه الأعداء كثير من شعراء البلاد العربيّة ، يضرمون حفيظة الشّعب و يلهبون نضاله تارة بالقصيدة ، وتارة بالشّعر الحر الجديد ، على شاكلة ما نظمه "نزار قبّاني" في شكل رسائل من جندي مصري إلى أبيه أرسلها من ميدان المعركة حيث تمتزج البطولة بالجراح و بالسّلاح ، يقول فيها :

الآن أفنينا فلول الهابطين

أبتاه لو شاهدتم يتساقطون

[1]- محمد محمد حسن شراب ، شعراء فلسطين في العصر الحديث ، الأهليّة ، الأردن ، ط1 ، 2006 ، ص14.
[2]- المرجع نفسه ، ص 15 .
[3]- فاتح علّاق ، في تحليل الخطاب الشّعري ، دار التنوير ، الجزائر، ط2 ،2008 ، ص29 .

و ترى قراصنة البحار الإنكليز

كثمار مشمة عجوز

يتساقطون ... يتأرجحون

تحت المضلاّت الطّعينة مثل مشنوق تدلىّ في سكون

و بنادق الشّعب العظيم تصيدهم زرق العيون

لم يبق فلاّح على محراثه إلاّ وجاء

لم يبق سكين و لا فأس ولاحجر على كتف الطّريق

إلاّ وجاء

ليردّ قطّاع الطّريق

ليخطّ حرفًا واحدًا حرفًا بمعركة البقاء[1]

حيث يصوّر الشّاعر وقوف كُلّ أطياف الشّعب لمقاومة العدو، بكلّ الوسائل المتاحة، من أجل الانتصار في معركة البقاء .

و لشعر المقاومة كما للخطاب القومي في الحياة العربيّة الحديثة و المعاصرة ، صور و تحليّات بارزة منها السّياسي المباشر ، و الأيديولوجي أيضا ، و منها الإعلامي و الحماسي و

[1]- شوقي ضيف ، البطولة في الشّعر العربي ، دار المعارف ، ط2 ، د ت ، ص 149 .

منها التّمثيلي الفنّي يظهر في الشّعر العمودي (الكلاسيكي) ، و الشّعر المنثور أو الحديث المقفىّ .

وإذا كان هناك من تقارب بين تعبير الخطاب الشّعري و الخطوب فان حياتنا العربيّة تعيش الخطوب منذ نهايات القرن 19 و على امتداد القرن 20 وما تزال ، فالخطوب أثّرت و فعلت في الخطاب الشّعري ، فشكّلت كُلّها حياة المقاومة ، وثقافة المقاومة ، وشعر المقاومة. [1]

فشعر المقاومة هو شعر الحياة العربيّة المعاصرة و هو بالتّالي نبض الأمّة المرافق لحالها الشّاعر بعذاباتها المتطلّع نحو أمانيها و أهدافها ، ومهما يحاول البعض إشغالنا في معارك جانبيّة فلقد بقيت المقاومة هي العنوان و الرّمز و الأمل ، عبّرت عن وحدة الأمّة ، و عن قوّتها على تجاوز الأزمة و الحدود، و القيود، وبقي الشّعر رؤيا الإنسان العربي الحديث في شكله الفنّي وفي صوته الموسيقي المرهف و المؤثّر، و الصّادق فحركة الشّعر لا يمكن أن تنفصل عن حركة المجتمع ، و بهذا فقد حقّق الشّعر العربي ممارسة عالية للوعي الوطني و الاجتماعي و الفنّي بآن معًا. [2]

و يعدّ الشّعر الفلسطيني أبرز مثال للشّعر المقاوم حيث صوّر مختلف نواحي القضيّة الفلسطينيّة و تطوّراتها، و رسم أجمل لوحات الصّمود و النّضال لشعب قاوم و قاوم و مازال

[1]- صالح أبو أصبع وآخرون،ثقافة المقاومة في الآداب والفنون،ج2،جامعة فيلادلفيا، مطبعة الخط العربي، الأردن،2006 ص121 .

[2]- صالح أبو أصبع ، ثقافة المقاومة في الآداب و الفنون ، ص 128 .

يقاوم ، في رحلة كفاح طويلة ضدّ أخطر عدُوٍّ يمارس مختلف صُنُوف الظّلم و الاستبداد، و هو الكيان الصّهيوني .

و هل هناك ظروف أقسى من ظروف شعب مسالم اقتلع من وطنه ، و تشرّد في أصقاع الأرض على مرأى من عيون العالم ، و بتدبير من قوى الشّر و العدوان التي داست جميع المبادئ والقيم الإنسانيّة، في سبيل الإبقاء على مصالحها و هيمنتها على الشّعوب ،و لكن الشّعب الفلسطيني لم يستكن ، و لم يتخاذل أمام محنته ، بل تصدّى لها بكلّ ما يملك من وسائل المقاومة ، من ثورات و انتفاضات و تضحيات بذل فيها آلاف الشّهداء و الضّحايا .

و قد كان لتلك المآسي و الأحداث وقعها و صداها ، و انعكاساتها على مرآة الشّعر ، حيث سيطرت سيطرة شبه تامّة على الشّعر الفلسطيني الذي كان يعتبر أداة فعّالة من أدوات الثّورة و المقاومة ضدّ المغتصبين للبلاد [1]. فدأب شعراء الأرض المحتلّة على تسخير شعرهم في خدمة شعبهم و قضيّتهم ، وفي هذا الصّدد نجد الشّاعر الشّهيد "كمال ناصر" ، الذي كان إيمانه قويّا لا يتزعزع ، ولا يقوى عليه حتّى الموت ، في تلبية نداء شعبه فهو يقول:

أتوب ؟ معاذ العليّ ، أي يوم مضى شاعر للمعالي و تاب

إذا هتف الشّعب يوما بروحي أطلّت له من حنايا التّراب[2]

[1]- فتحية محمود ، محمود درويش و مفهوم الثورة في شعره ، ص 10- 11 .
[2]- صالح أبو أصبع ، ثقافة المقاومة في الآداب و الفنون ، ص 55 .

" و شعر المقاومة و الثّورة كما فهمه شعراء المقاومة الفلسطينيّون ، رفض للواقع ،و إيمان بالقدرة على تغييره و تعبير عن الألم ، وغضب عارم ضدّ صور القمع و الاضطهاد و الاستلاب ..و أمل في استشراف حياة أخرى" [1].

وها هو الشّاعر الفلسطيني "أحمد الزّيماوي"، يتحدّث عن مرارة المأساة، وعن ضرورة المقاومة وتفعيلها ، حيث يقول :

إنّا شربنا من كؤوس المرّ ما يكفي .

و اليوم من أعماقنا

نعطي الوجود حرارة الصّيف [2]

و بالإصرار على المقاومة ، و الإيمان بقدرة الشّعب على الصّمود ، و تحقيق الانتصار المنشود ، يمضي شعر المقاومة في مسيرة النّضال ، حيث يتميّز شعر المقاومة في الشّعر العربي الحديث بعناصر أساسيّة هي :

1- الإيمان بالشّعب و الثّقة بقدرته على اجتثاث الظّلم و اليقين المطلق بانتصاره الآتي .

2- كما يتميّز بتلوينه بين التّمرد و طلب الحريّة للوطن وللفرد بحيث يختلط العام بالذّاتي والخاص، مستذكرين في هذا المجال شعر "أبي القاسم الشّابي" :

إذا الشّعب يوما أراد الحياة فلا بدّ أن يستجيب القدر

[1]- أحمد موسى الخطيب ، وهج القصيد ، دراسات في الشعر العربي المقاوم ،ص 51 .
[2]- أحمد موسى الخطيب ، وهج القصيد ، ص 52 .

3- كما يتميّز شعر المقاومة بتكريم الشّهادة، و إبراز أهميّة التّضحيات التي قدّمها الشّهداء ليكونوا منارة تشعل الطّريق و يقتدي بها جيل كبير هو جيل المقاومة[1] .

2- مراحل تطوّر الشّعر الفلسطيني :

لقد تطوّر الشّعر الفلسطيني عبر أجيال متعاقبة، مواكبًا تطوّرات القضيّة الفلسطينيّة بجميع مراحلها ، و أحداثها حيث رصد الشّعراء جميع حيثيّات القضيّة بمراحلها المتعدّدة منذ بروز قضيّة فلسطين على السّاحة السياسيّة حتّى نكبة 1948م إلى الفترة الممتدّة حتّى نكبة 1967م ،وصولا إلى ما بعد النّكسة ، و يمكن عرض مراحل الشّعر الفلسطيني كالآتي :

2-1- المرحلة الأولى: مرحلة ما قبل النّكبة:

إنّ أيّ دراسة تاريخيّة للشّعر العربي المعاصر في فلسطين، تقتضي العودة إلى بداياته التي

بنى على قواعدها وأساسها شعراء الأجيال اللاّحقة ، فمعظم الباحثين الذين كتبوا في الشّعر الفلسطيني يجمعون على أن هذا الشّعر بدأ يتشكّل في أواخر القرن التّاسع عشر، وهي مرحلة ما قبل النّكبة[2]، ويلاحظ أنّ الشّعر الفلسطيني ،"بدءًا من القرن العشرين الميلادي و حتّى احتلال بريطانيا فلسطين ، و لم يكن بعيدًا أو مختلفا كثيرًا ، شكلًا و مضمونًا عن حال الشّعر في سائر

[1]- صالح أبو أصبع ، ثقافة المقاومة في الآداب و الفنون ، ص 118 – 119 .
[2]- عبد الرحمان علي عبد الرحمان جعيد، علي الخليلي أديبا ، رسالة ماجستير ، جامعة النّجاح الوطنيّة، نابلس، فلسطين،2006 ، ص24 .

الأقطار العربيّة آنذاك ، حيث كان ما ينظم من قصائد و مقطّعات تقليدًا و محاكاة للشّعر في عصور الضّعف و الانحطاط". [1]

و عندما بدأ الخطر الصّهيوني يظهر للعيان بعد الحرب العالميّة الأولى، و بعد "وعد بلفور" اتّضحت أبعاد القضيّة الفلسطينيّة ، كما اتّضحت الأبعاد التي تهدف إليها الصّهيونيّة بعد هذا الوعد المشؤوم ، فأصبح خطر الصّهيونيّة أهمّ العوامل المسيطرة على الحياة الأدبيّة بصفة عامّة، والشّعر بصفة خاصّة ، و كان لابدّ أن يُعنى الشّعراء بأحداث فلسطين و يراقبوا أعمال الاستعمارالانجليزي الذي نصب حمايته الظّالمة على هذا الجزء من الوطن العربي.[2]

و قد سجّل الشّعر الأحداث التي عاشتها فلسطين قبل النّكبة (1948)، مثل ثورة 1936 وأسلوبها في النّضال الذي اعتمد على تضحيات الفرد و بطولاته ، أكثر من اعتماده على القاعدة الجماهيريّة العريضة ، كان لهذه الثّورة أثرها على شعر تلك الفترة ، كشعر " إبراهيم طوقان" ، وشعر "عبد الرحيم محمود"و"عبد الكريم الكرمي" "أبو سلمى"...وغيرهم ، والذي كان في مجمله ذا طابع حماسي مؤقّت[3].

حيث كان شعراء هذه المرحلة يتناولون أحداث تلك الحقبة، فها هو الشّاعر "عبد الرحيم محمود" يقول في وعد بلفور :

بلفور، مابلفور، ماذا وعده؟ لو لم تكن أفعالنا الإبرامُ

[1]- صدوق راضي ، شعراء فلسطين في القرن العشرين ، المؤسّسة العربيّة للدراسات و النشر ، بيروت، ط1 ،2000 ، ص14 .
[2]- عبد الله الرّكيبي ، قضايا عربيّة في الشعر الجزائري المعاصر ، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، ط 2009 ، ص 50 .
[3]- فتحيّة محمود ، محمود درويش و مفهوم الثّورة في شعره ، ص 11 .

إنّا بأيدينا جرحنا قلبنا و بنا إلينا جاءت الآلامُ

فينا على المودي إقدام و بناعلى المجدي لنا إجحام

بنا عن الحبّ المجمّع جفوة و لنا بصحراء الخصام هُيَام

و الخطب فرّقنا قبائل جمعة و الخطب عند عُداتنا لمّام

فقد أراد الشّاعر أن يقول في هذه الأبيات "أن وعد بلفور لم يتحقّق ، بقوّة بريطانيا و مكر اليهود فقط ، و إنّما تحقّق بضعف الفلسطينيّين ،الذي كان سببه الانقسامات الحزبيّة آنذاك، و تقرّب بعض الزّعماء من بريطانيا لنيل رضاها "[1].

كما تحدث شعراء هذه المرحلة عن السّمسار و بائع الأرض و العميل المتعاون مع الاستعمار، و الخلافات النّاشبة بين الزّعماء أو المتطلّعين إلى الزّعامة، و أبرزوا التّهافت على المناصب و الصّراع من أجل احتيازها ، و صوّروا المكايد التي كانت تستشري بين الفئات المتنازعة [2].

حيث حدّد الشّعراء العدوّ الدّاخلي، و المتمثّل في سماسرة الأراضي الذين ينقلون ملكيّتها لليهود مقابل مال و فير و قد صور "إبراهيم طوقان" هذه الظّاهرة بصورة مزرية ، فقال :

أمّا سماسرة البلاد فعصيةٌ عار على أهل البلاد بقاؤها

إبليس أعلن صاغراً إفلاسه لما تحقّق عنده إغراؤها

[1]- محمد محمد حسن شراب ، شعراء فلسطين في العصر الحديث ، ص 9 .
[2]- عبد الرحمان علي عبد الرحمان جعيد ، علي الخليلي أديبًا ، ص 24 .

يتنعّمون مكرّمين كأنّما لنعيمهم عمّ البلاد شقاؤها

هم أهل نجدتها و إن أنكرتهم و هُمُ ، وأنفك راغم زعماؤها

و حماتها و بهم يتم خرابها وعلى يَديْهِم بيعها و شراؤها[1]

و يمكن القول أن شعراء هذه المرحلة ، قد سجّلوا الأحداث التي عاشتها فلسطين قبل عام 1948 ، و التي من بينها كما سبق الذّكر ثورة 1936 ، و مشروع التّقسيم ، وسياسة الإنجليز المعادية للعرب،و تخاذل العرب و خلافاتهم و فرقتهم إلى آخر الموضوعات التي ظهرت في قصائد الشّعراء في هذه الفترة الأولى من كفاح الشّعب الفلسطيني، و الظّروف التي أحاطت بهذه القضيّة [2].

فكان الشّعراء في هذه المرحلة يصوّرون واقع شعبهم ، و يحدّدون طبيعة العدو، و طبيعة التّحديّات التي تواجه وطنهم و مجتمعهم ، و قد أسّس شعراء هذه المرحلة للأجيال القادمة بعدهم، فالقضيّة مازالت مستمرّة بتطوّراتها و أحداثها ، و أزماتها .

2-2 – المرحلة الثّانية :

[1]- إبراهيم طوقان ، ديوان إبراهيم طوقان ، دار الآداب ، بيروت ، ط2 ، 1966 ، ص69 .
[2]- عبد الله الرّكيبي ، قضايا عربيّة من الشّعر الجزائري المعاصر ، ص 64 .

والمرحلة الثّانية من مراحل تطوّر الشّعر الفلسطيني فهي مرحلة مابين النّكبة و النّكسة ، فقد كانت النّكبة قويّة وشديدة ، وكان وقعها على العرب مؤلمًا وقاسيًا إلى درجة أنّها زلزلت قيمًا كبيرة في المجتمع العربي [1].

وإذا نظرنا إلى معنى مصطلح النّكبة فهو يطلق على كلّ المآسي الفرديّة والجماعيّة ، وعلى الفاجع التي تصيب مظاهر الحضارة و العمران ، واستعمال كلمة (النّكبة) في الشّعر يقصد به التّعبير عن الفجيعة والدّلالة على المصيبة التي تحلّ على الفرد والجماعة والأقوام والممالك [2].

ففترة النّكبة وما بعدها حتّى السّتينات، إنعكست على الشّعر فيها أصداء النّكبة وظروفها ، فشاع فيها التّشكّي والحزن الذي عكس أوضاع التّشرّد والضّياع ، و البؤس ، والإحساس بالظّلم والذّل ، والحنين إلى الوطن [3].

وقد ظهرت موضوعات جديدة في سماء الشّعر في هذه الفترة أهمّها : اللّجوء والعودة ، فأخذ يتحدّث عمّا يعانيه هذا اللاّجئ من صنوف الجوع والعري و التّشتّت والإحساس بوطأة الغربة ، وبكونه عالة على الصّدقات الشّهرية من طحين وسكّر وغير ذلك ، ورغم أن هذه النّكبة الفلسطينيّة قد فجّرت ينابيع الإلهام الشّعري لدى كثير من أبناء النّكبة ،إلاّ أنّ لغة الشّعر في هذه المرحلة قد ظلّت وبخاصّة لدى المخضرمين . لغة تقليديّة لم تبرح القاموس المتداول لدى شعراء التّقليد الذي كان سائدًا في مختلف الأقطار العربية .

---

[1]- المرجع نفسه ، ص 79 .

[2]- محمد حمدان ، أدب النّكبة في التّراث العربي ، إتّحاد الكتّاب العرب ، دمشق ، ط 2004 ، ص 11 .

[3]- فتحيّة محمود ، محمود درويش و مفهوم الثّورة في شعره ، ص 11 .

وفي هذه المرحلة، ولدت عند شعراء فلسطين المحتلّة عام 1948 م بذرة ما يسمّى بالشّعر المقاوم ، فقد جاء النّتاج الشّعري في تلك المرحلة متدّرجًا من نشر الوعي على الواقع المعيش إلى التّحريض على الثّورة، وكانت الأفعال الثّوريّة تنمو من داخل الفصائل مع الحدث، لتعبّر ليس عن الألم والمعاناة فحسب، ولكن عن الثّائر و داعية الثّورة أيضا.

وعن هذه المرحلة يتحدّث "غسّان كنفاني" قائلاً : "ولكن ما يميّز الأدب المقاوم في فلسطين المحتلّة منذ 1948 حتّى 1967 هو ظروفه القاسية البالغة الشّراسة ، التي تحدّاها وعاشها ، وكانت الأتون الذي خبز فيه إنتاجه الفنّي ، يومًا وراء يوم".[1]

وأبرز شعراء هذه الفترة نجد : "هارون هاشم رشيد" ، و"يوسف الخطيب" ، و"سلمي الخضراء الجيوسي" ، و"فدوى طوقان" ،...وغيرهم .

ولكن ظروف النّكبة الحالكة لم تقض على الأمل في العودة إلى الدّيار ، هذا الأمل الذي ظلّ الشّاعر الفلسطيني يحرص عليه، ويغذّي شعلته بقصائد تحريضيّة تمجّد النّضال ، والفداء، وتدعو إلى الثّأر و الوحدة واسترداد الحقوق المغتصبة ، ودائما بأساليب استنفاريّة خطابيّة تتلاءم ومضامينها النّضالية وأهدافها التثويريّة [2].

فصوّر شعر هذه المرحلة مظاهر اللّجوء والتّشتّت، والإحساس بالحرمان ، الحرمان من دفئ الوطن والأرض ، والأهل .

[1]- غسّان كنفاني ، الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال 1948- 1968 ، ص 10 .
[2]- فتحيّة محمود ، محمود درويش و مفهوم الثّورة في شعره ، ص 12 .

ومن شعراء هذه المرحلة نجد الشّاعرة "فدوى طوقان" ، التي كانت من أبرز أصوات هذه الفترة من حياة الشّعب الفلسطيني، وصوّرت بصدق ظروف وأحوال شعبها الذي عانى الويلات ، ومن أمثلة شعرها ، ما صوّرت فيه إحدى اللاّجئات الفلسطينيّات التي عانت التّشريد والفقد ، حيث فقدت وطنها ، وزوجها ، في رحلة اللّجوء ، فتستذكر هاته المعاناة ، فتقول "فدوى طوقان" في هذا الصدد :

ومرّ على قلبها طيف يوم دجيّ الظّحى عاصف مربد

وقد نفرت في جموع الإباء نسور للحمى للحمى تقتدي

دعاها نفير العلا و الجهاد فهبّت خفافًا إلى الموعد

تذود عن الشّرق المستباح و تدفع عنه يد المعتدي

و وتقتحم الهول مستحكمًا وتسخر باللّهب الموقد

فيا للحمى كم حميٍّ أبيٍّ تجدل فيه ، وكم أصيد

أباحوا لَه المهج الغاليات وأسقوا ثراه دَم الأكبد

وطالعها في رؤى الذّكريات فتاها نجى العلا والطّماح

إباء الرّجولة في بردتيه وزهو البطولة ملء الوشاح

نبيل الكفاح إذا الخصم راغ ومن شرف الحرب نبل الكفاح

فيا من رأى النّسر تجتاحه وتلوي بـه بفتـات الرّيـاح

تهاوى صريعًا وأرخى على حطام أمانيه ريش الجناح [1]

2-3- المرحلة الثّالثة :

أمّا المرحلة الثّالثة : فهي مرحلة ما بعد نكسة العام 1967 ، إثر هزيمة حزيران، فقد أنتجت هذه الهزيمة ظروفًا حياتيّة مأساويّة قافلة من الشّعراء الفلسطينيّين، الذين سرعان ما انضمّوا إلى شعراء ما بعد النّكبة في إنتاج شعر عربي فلسطيني غاضب ثائر يدعو إلى المقاومة التي تقوم على محور رفض سلبيّات الأمر الواقع والإيمان التّام بلا معقولية استمرار هذا الواقع وبوجوب تغييره[2]، فلم يكن شعرالمقاومة الفلسطينيّة الذي برز في أواسط السّتينات ظاهرة منقطعة الجذور، وإنّما هو امتداد للشّعر الفلسطيني الذي طالما صور المآسي، ودعا إلى النّضال، والتّضحية، وخلّد البطولات التي أبداها شعبنا الفلسطيني و العربي عبر مسيرته النّضاليّة ، إنّه امتداد لروح ذلك الشّعر الثّائر مع تطوّر في النّهج الفكري، والأسلوب الثّوري [3] ، حيث ظهر جليًّا في هذه المرحلة تأثّر الشّعراء الفلسطينيّين، بالتّيارات الحديثة التي راجت في الشّعر العربي المعاصر، إذ لجأ شعراء فلسطين إلى القصيدة الحرّة بما تنتجه من وحدة التّفعيلة و تنويع الإيقاعات والمزاوجة بين الشّكلين التّقليدي و الحُرّ.[4]

[1]- فدوى طوقان ، الأعمال الكاملة ، المؤسّسة العربيّة للإعلام و النّشر ، بيروت ، ط1 ، 1993 ، ص 115-116 .
[2]- عبد الرحمان علي عبد الرحمان جعيد ، علي الخليلي أديبا ، ص 25 .
[3]- فتحيّة محمود ، محمود درويش و مفهوم الثّورة في شعره ، ص 12 .
[4]- صالح أبو أصبع ، ثقافة المقاومة في الآداب و الفنون ، ص 125 .

وقد حاول شعراء هذه المرحلة تجاوز آثار النّكسة، و الفجيعة إلى غنائيّة متفائلة مشرقة، وعبّر عن التّمسك بالأرض، ومواجهة التّحدي اليومي للعدو الصّهيوني ، ورفع راية الصّمود و الثّبات ، ومجّد الفداء و الشّهادة ، ووقف مع القضايا العربيّة ، و القوميّة والإنسانيّة، وأكّد الهويّة الوطنيّة ليبقى للإنسان وجهه العربي الأصيل ، فكما يسمو وحي الوطن بالكاتب في الأدب القومي ، فإن هذا الأدب يخلع على الوطن في نفوس أهله جميعًا جلالاً وبهاءً يزيدانهم له حبًّا وبه إيمانًا وتقديسًا وإيّاه إعزازًا[1]، فصوّر الشّعراء مدى ارتباطهم بالوطن، والإصرارعلى الصّمود و الدّفاع عنه بكلّ الوسائل ، ومدى ارتباطهم بالجماهير .

ومن أبرز شعراء هذه المرحلة : "محمود درويش" ، "سميح القاسم" ، و"سالم جبران" ، و"على الخليلي" ، و"توفيق زياد"...و غيرهم[2] ، الذين أصبحوا رموزًا للمقاومة في الشّعر العربي الحديث .

وبسبب الظّهور البارز لشعر هذه المرحلة، والإنتاج الغزير الذي يعكس الظّروف والأوضاع الصّعبة لهذه الفترة ، "هناك من وصف البروز المفاجئ لشعر المقاومة الفلسطيني بعد الخامس من حزيران، كأنّه بركان انفجر في عالمنا المنهزم، فتلقّفناه كمن يطلب نقطة ماء في الصّحراء ، كان هذا الشّعر يمثّل انتفاضة على واقع الهزيمة ، وفي الواقع لم يكن هذا الشّعر بحد ذاته مفاجأة ، لقد كان هؤلاء الشّعراء يكتبون منذ سنوات في محاولة للتّعبير عن واقعهم ".[3]

[1]- محمد حسين هيكل ، ثورة الأدب ، دار المعارف ، القاهرة ، د ت ، ص 105 .
[2]- فتحيّة محمود ، محمود درويش و مفهوم الثّورة في شعره ، ص 12 .
[3]- محمد دكروب ، الأدب الجديد و الثّورة ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، ط 3 ، 1990 ، ص 259 .

ومن نماذج شعر هذه المرحلة ، أبيات "لمحمود درويش"، تبرز أن الشّعراء في الأرض المحتلّة لم يَتُوهُوا بعد حزيران، بل ظلّوا كما كان عليه موقفهم قبله ، لأنّهم يملكون منهجًا في الرّؤية جعلهم يرون إلى النّكسة قبل حدوثها . حيث يقول "محمود درويش":

لم نكن قبل حزيران كأفراخ الحمام

ولذا ، لم يتفتّت حبنا بين السّلاسل

نحن، يا أختاه ، من عشرين عام

نحن لا نكتب أشعارًا ،

ولكنّا نقاتل.[1]

3- أهمّ موضوعات شعر المقاومة :

تعدّدت مواضيع شعر المقاومة ، واختلفت مضامينه ، حيث عبّر أغلب شعراء المقاومة عن الهموم و القضايا التي تتعلّق بالحركة النّضالية المقاومة لشعوبهم ، وقد تناول الشّعر الفلسطيني المقاوم جميع موضوعات القضيّة الفلسطينيّة السياسيّة و الاجتماعيّة ،و الحربيّة و الثّوريّة ... ، حيث تجلّت المقاومة شعرًا في مواقف ، ومواضيع متعدّدة ، ولعلّ أبرز المضامين و الصّور التي وردت في شعر المقاومة هي صور تمجيد الأرض والوطن ، والتّعبير عن مكانة

[1]- ديوان محمود درويش ، دار الحريّة للطّباعة و النّشر ، بغداد ، ط 2 ،2000 ، ص 165 .

الشّهيد وتوقير تضحيته في سبيل الوطن ، إضافة إلي موضوع السّجن والمنفي وما يتركه في نفسيّة الشّاعر والإنسان المقاوم .

3-1 – الأرض و الوطن :

تناول الشّعر العربي (الأرض) عبر رحلته الطّويلة ، ومراحل متعدّدة من خلال عدّة أطر، كما تغيّر مفهوم الأرض لدى الشّاعر العربي الحديث تبعا لثقافة المرحلة ، ولمعطياتها الاجتماعيّة و السّياسية ، فحينًا تناول الشّعر العربي القديم (الأرض) من خلال إطارٍ وصفي جمالي ، وحينًا آخر من خلال إطار غزلي عاطفي ، وحينا ثالثًا تناولها من خلال إطار الحنين إلى الأوطان .

وقد تبلور مفهوم الأرض عند الشّاعر الفلسطيني المقاوم بخاصّة ، فالأرض عنده ليست ترابًا ، وسُكّانًا، ومناخًا، وأشجارًا، و الأرض ليست تأريخًا فقط ، وليست جغرافيا فقط ، الأرض عنده ذات مفهوم رمزي ، ذات مفهوم حركي، وذات مفهوم إقتصادي، وكذلك سياسي ، بالإضافة إلى مفهومها النّفسي و السّيكولوجي[1]، كما يقول "محمود درويش":

ليس المكان مساحة فحسب ..

إنّه حالة نفسيّة أيضا ..

ولا الشّجر شجر ..

[1]- أحمد موسى الخطيب ، وهج القصيد ، ص 55 .

إنّـه أضلاع الطّفولة.[1]

إن أهميّة شعرنا الموضوعيّة تكمن في التحام هذا الشّعر بكلّ ذرّة من تراب أرضنا الغالية ، بصخورها ، ووديانها ، وجبالها ، وأطلالها وإنسانها الذي يظلّ مرفوع الرّأس، رغم ما ينوء به كتفاه من أعباء ، وما يشدّ يديه وإرادته من قيود، إنسانها الذي قاوم ولا يزال يقاوم الظّلم و الاضطهاد ، ومحاولات طمس الكيان و الكرامة القوميّة والإنسانيّة[2] .

ولقد انفتح مفهوم (الوطن) بجماله وجلاله أمام الشّعراء لوصفه والهيام به ، وكان الاستعمار

والاستبداد و الغربة كلّها صور من الحرمان و الطّرد منه ، ففكرة (الوطن) أعطت للشّعر منفذًا مهمًّا نحو الحداثة ، حيث عمّقت تجارب الشّعر الثوري ومقارعة الاستعمار ما يشبه ذلك الإحساس بالنّفي ، و الغربة عن المكان ، فتأسّست مدوّنة شعريّة تهيم في حب الوطن وتمجيده ،وتركّز على معاناة الاغتراب و البعد [3].

فالوطن شعور بالانتماء إلى أرض وثقافة ولغة وعادات وتقاليد ، وينمو ويرتقي ليصبح معادلاً موضوعيًّا للذّات و الوجود ما يجعله يغدو على لسان الأدباء قصيدة مرهقة تتغنّى بها الشّفاه [4] ، وهذا ما نجده في شعر "محمود درويش" مثلا في (أغنيات إلى الوطن)، ومنها :

وطني– يا أيّها النّسر الذي يغمد منقار اللّهب

[1]- محمود درويش، يوميّات الحزن العادي ، منظّمة التّحرير الفلسطينيّة ، المؤسّسة العربيّة للدّراسات و النّشر، 1973، ص 40.
[2]- أحمد موسى الخطيب ، وهج القصيد ، ص 55 .
[3]- عبّاس بن يحيى، مسار الشّعر العربي الحديث و المعاصر، دارالهدى للطّباعة والنّشر،عين مليلة، الجزائر، د ت ،ص 75-76.
[4]- حسين جمعة ، ملامح في الأدب المقاوم "فلسطين أنموذجا " ، الهيئة العامة السّوريّة للكتاب ، دمشق، ط 2009 ، ص 29 .

في عيوني

وطني إذا ولدنا وكبرنا بجراحك

وأكلنا شجر البلّوط

كي نشهد ميلاد صباحك[1].

فالحديث عن الوطن الشّامخ، والمزروع في العيون يتجلّى في هذه العبارات المتدفّقة والمعبّرة عن الزّمن الممتد في التّكوين ، ما يجعله يتوهّج بحريّة المقاومين كما تعبّر عن الجملة الأخيرة ، إذ ترمز كلمة (ميلاد صباحك) إلى استدعاء الفعل الثّوري الإبداعي لحريّة الوطن الذي سكن روحه، فصار جزءًا أصيلاً يتنفّس من رئته[2].

وهناك من يتناول موضوع الأرض و الوطن بكثير من القداسة حتّى ترتفع إلى منزلة الطّهر و العبادة ، كما ورد في شعر "محمود الأفغاني" الشّاعر الفلسطيني :

موطني يا موطني ما أبدعك أي فردوس يحاكي أربعك؟

كلّ جنّات الورى في أعيني لم تكن شيئًا إذا قيست معك

أنت خلد الله في الدّنيا وما أحسب الكوثر إلاّ منبعك[3]

[1]- ديوان محمود درويش ، ص 109 .
[2]- حسين جمعة ، ملامح في الأدب المقاوم ، ص 30 .
[3]- حسين جمعة ، ملامح في الأدب المقاوم ، ص 66 .

ومن أمثلة الشّعراء الذين تغنّوا بالوطن وذابوا حُبًّا فيه وفي ربوعه ، نستعير أبياتًا من "إلياذة الجزائر" لشاعر المقاومة "مفدي زكريا" الذي يقول :

ويا ومضة الحبّ في خاطري وإشراقة الوحـي للشّـاعر

ويا ثورة حار فيـها الزّمان وفي شعبها الهـادئ الثّـائر

جزائر يا لحكـاية حبّـي و يا من حملتي السّلام لقلبي

ويا من سكبت الجمال بروحي ويا من أشعت الضّياء بدربي[1]

فهاته الأبيات المختارة من الإلياذة تظهر مدى تعلّق الشّاعر بوطنه ، و إحساسه بأن الوطن هو مصدر السّلام و الجمال ، و الضّياء .

وتتجلّي أهميّة موضوع الوطن في الشّعر الفلسطيني المقاوم بصورة واضحة ، حيث تشكّل الأرض بالنّسبة للإنسان الفلسطيني هويّته و انتماءه، وليس مجرّد رقعة مكانيّة يعيش عليها ، حيث يمتزج الوطن بمفهوم النّضال السّياسي، و الشّعراء الفلسطينيّون كأناس اكتمل لديهم قدر من الوعي السّياسي ، لم تغب صورة الوطن عن موضع الصّدارة في قصائدهم فالوعي السّياسي الذي طاوع الشّعر الفلسطيني في مراحل تطوّره هو وعي الأرض ، بوصفها امتداد الإنسان في المكان ، و وعي الإنسان لنفسه بوصفه امتدادًا لها في الزّمن ، وأكّد شعراء فلسطين على هذه العلاقة في قصائدهم ، من خلال ارتباط الفلسطيني بأرضه عن طريق الفلاحة ، وعطاء أرضه الخيّرة ،

[1]- مفدي زكريّا ، إلياذة الجزائر ، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب ، الجزائر، ط1987 ، ص 20-21 .

وتأكيدهم على هويّة الأرض كمنبت ومولد للإنسان الفلسطيني عبر العصور، وبقائه في أرضه وصموده فيها ، أصبح القضيّة التي تشغل الحيّز الأهم في الشّعر الفلسطيني منذ عهد الانتداب البريطاني .

حيث اندفع الشّعراء الفلسطينيّون لنظم الأشعار التي تعبّر عن عظم الكارثة التي حلّت بفلسطين– الأرض والإنسان – وعبّروا في قصائدهم عن رفض الإنسان الفلسطيني لهذا الواقع الجديد ، و الدّعوة إلى مقاومته، وقد برز حبّهم الكبير وتعلّقهم بوطنهم ، وتأكيدهم على التّشبّث به والتحامهم معه ليشكّل جسدًا واحدًا يعني الانفصال عنه تمزيقًا للجسد الواحد ، كما يعني البقاء فيه بقاءًا للوحدة التي تكاد تكون عضويّة بين الأرض و الإنسان[1] .

وقد يتداخل موضوع الأرض و الوطن مع الحبّ ، فيصبح الوطن بمثابة الحبيبة التي تسكن قلب الشّاعر، ويمكن أن يتجسّد هذا التّداخل لدى شاعر المقاومة " محمود درويش" ، حيث يتوحّد الطّرفان (الحب و الوطن) في واحد ليصبح الحديث عن المحبوبة هو الحديث عن الوطن ، بل إن التّوحّد يتّخذ سمة الحديث المباشر إلى امرأة ، حين يخاطب الشّاعر وطنه فلسطين، فيقول لها :

يا امرأة وضعت ساحل البحر الأبيض المتوسّط في حضنها

وبساتين آسيا على كتفيها

[1]- عبد الرّحمان علي عبد الرّحمان ، علي الخليلي أديبا ، ص 26 .

وكُلّ السّلاسل في قلبها[1] .

وتتّخذ الأرض في شعر المقاومة أشكالا وصورًا عِدّة ، فمرّة يكون الوطن هو الأم ، ومرّة الأخت ... ، فالتّشبث بالأرض و الدّفاع عنها يظهر بأشكال ورموز ودلالات متعدّدة من المرأة إلى الشّجرة .

3 -2 - الشّهيد :

الشّهادة مرتبة إيمانيّة عالية يقدّرها العربي والمسلم ، وذلك للمكانة السّامية التي أظهرها القرآن الكريم للشّهيد الذي أعطاه صفة الحياة الأبديّة، يقول تعالى في كتابه العزيز:﴿ ***ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا، بل أحياء عند ربّهم يرزقون***[2] ، فإذا قرأ المسلم هذه الآية وغيرها من الآيات القرآنية التي تبيّن مكانة الشّهيد وعرف ما في هذه الآيات من عطاء الله ونعمه، صمد في وجه الظّلم بشجاعة وإقدام لا يلفته عنه خوف أو تقاعس ، لأن صفة (أحياء) التي أعطاها الله عزّ وجلّ للشّهداء ، هي صفة جامعة لكلّ نعمة وفضل .

فالاستشهاد في سبيل الله قمّة درجات التّضحية، وأقصى ما يمكن أن يصل إليه الإنسان من عطاء لوطنه ولشعبه ، لأنّ الشّهيد – باستشهاده– يعلن انحيازه لجموع الشّعب وقضاياه العامّة ، ويستبعد كُلّ ماهو خاص وفردي ، فهو يسهم بشكل كبير في تعزيز موقف القضيّة التي يضحّي بنفسه و روحه من أجلها .

[1]- رجاء عيد ، لغة الشّعر، قراءة في الشّعر العربي الحديث ، دار المعارف ، الإسكندريّة ، مصر ، د ت ، ص 168 .
[2]- القرآن الكريم ، سورة آل عمران ، آية 169 .

وتزداد قيمة التّضحية بالنّفس عُلُوًّا في الواقع الفلسطيني حيث يقاتل الشّعب بأقلّ الوسائل ، وأبسط الأسلحة ، فيقاتل بضعفه ولا يستسلم ، مقدّمًا الشّهداء والجرحي والمعتقلين من أجل الوصول إلى أهدافه المشروعة[1] .

وقد عبّر الشّعراء عن صورة الشّهيد ، وأبرزوا دوره ومكانته ، فهاهو "عبد الرحيم محمود" الشّاعر الشّهيد ، يتمنّى أن يرتفع إلى منزلة الشّهادة ، مُعلنًا رغبته في النّضال والمقاومة ، فإمّا الشّهادة ، وإمّا العيش الشّريف ، حيث يقول في قصيدة "الشهيد ":

سأحمل روحي على راحتي وألقي بها في مهاوي الرّدى

فإمّا حياة تسرّ الصديق وإمّا ممات يغيظ العدى

ونفس الشّريف لها غايتان ورود المنايا ونيل المُنَى[2]

ويجعل الشّاعر الفلسطيني "محمود حامد" الشّهداء الذين رووا تراب وطنهم زيزفون الأرض الذي يتجلّى عطرًا وأريجًا يفوح في جنباته ، فيقول :

هم زيزفون الأرض ، مرآة الكلام

وأجمل الآتين في الشّهداء

والماضين في وجع القصيدة للنّهاية

[1]- عبد الرّحمان علي عبد الرّحمان جعيد ، علي الخليلي أديبا ، ص 46 .
[2]- ديوان عبد الرّحيم محمود ، دار العودة ، بيروت ، 1999 ، ص 120 .

زيزفون الأرض هم

والمصطفون من الأحبّة في الإياب

* * *

هم زيزفون الأرض

حور للأعالي صاعد

وَ غَدٌ فسيح الأمنيات

و كوكب متخيّل

ستظلّ تنزفه المحابر من دم الشّعراء

أقمار النّدى ، والأغنيات الخالدة [1].

فالرّؤية الشّعرية المقاومة كانت صنوًا للتّضحية من أجل الأرض الغالية لكي تعيش بعزّة وكرامة ، ما جعل الشّعراء يتغنّون بمجد الشّهداء وشجاعتهم ، وكرمهم وإيثارهم لوطنهم على أنفسهم ، وقد تمثّلت بهم كُلّ المعاني السّامية للشّهادة والفداء .

حيث نجد "إبراهيم طوقان" يتحدّث عن الشّهيد ويمجّد تضحياته ، في قصيدة بعنوان "الشّهيد" ، يقول فيها :

[1]- حسين جمعة ، ملامح في الأدب المقاوم ، ص 63 .

عبس الخطب فابتسم وطغى الهول فاقتحم

لم يبال الأذي ولم يثنه طارئ الألم

سار في منهج العُلا يطرق الخلد منظلا

لا يُبالي مكبلا ناله أم مجندلا[1]

كما يصوّر الفدائي الشّجاع على النّحو التّالي :

لا تسلْ عن سلامتهْ روحُهُ فوق راحتِهْ

بدّلته همومه كفنًا من وسادته[2]

وتصوّر الشّاعرة "فدوى طوقان" استشهاد مجموعة من الأطفال والشّباب ، أثناء الانتفاضة ، مقدّمين بذلك أسمى معاني التّضحية والفداء ، حيث تقول :

رسموا الطّريق إلي الحياة

رصفوه بالمرجان ، بالمهج الفتيّة بالعقيق

رفعوا القلوب على الأكف حجارة ، جمرًا ، حريق

رجموا بِها وحش الطّريق

هذا أوان الشد فاشتدّي !

[1]- ابراهيم طوقان ،ديوان إبراهيم طوقان ، ص 5 .
[2]- المصدر نفسه، ص 47 .

ودوى صوتهم

في سمع الدّنيا وأوغل في مدى الدّنيا صداه

هذا أوان الشّد !

واشتدّت وماتوا واقفين

متألّقين كما النّجوم

متوهّجين على الطّريق مقبّلين فم الحياة[1]

3- 3- المنفى و السّجن :

عاش اللاّجئون الفلسطينيّون في منافيهم حياة قاسية ، سواء فيما يتعلّق بمسكنهم أو طعامهم

أو طعامهم أو صحّتهم أو تعليمهم ، و قد ضاعفت هزيمة حزيران 1967 معاناة اللاّجئين وآلامهم ، و أسهمت في انتشار الفقر و البطالة و المشكلات الاجتماعيّة في صفوف المشرّدين ، إلّا أن الطّلائع الفلسطينيّة المثقّفة لعبت دورًا بارزًا في منافيها ، و نجحت ، رغم كُلّ ما يقال ، من وضع أسس عريضة ، و في وقت قصير نِسبيًّا ، لأدب عربيّ يمكن وصفه بأدب المنفى .

" و أدب المنفى بعنفه الخلّاق ، يصبح منطلقًا للتّعبير عن الآلام المستبطنة التي تحدثها

[1]- فدوى طوقان ، الأعمال الشّعريّة الكاملة ، ص 54 .

ذكريات ذات طابع سريّ دفين "[1]. وكان الشّعر بالذّات هو الرّائد في هذا المجال ، خاصّة شعر المقاومة منه ، فقد صوّر الشّعراء الفلسطينيّون أثر التّشرّد في الإنسان الفلسطيني ، فوصفوا تشتّته في أرجاء المعمورة ، و فقدانه لمقوّمات الحياة الأساسيّة التي يحتاجها المرء، كما صوّروا طبيعة الحياة التي عاشها اللّاجئون في المخيّمات ، و ظلّ صوت الشّعر لدى هذا الشّعب الصّغير الجبّار

قويًّا عاليًا ، يقاوم كُلّ العقبات في طريق عودته المشروعة ، كما ظلّ يقاوم كل المحاولات الشّريرة ، و الخطط الجهنميّة لتصفية القضيّة و إذابة الشّعب لتثبيت الوجود الصّهيوني المصطنع[2] .

وقد صوّر الشّعراء واقع اللّاجئ الفلسطيني ، فكانت قصائدهم ممزوجة بالألم و التحدّي وتصوّر حنين اللّاجئين و شوقهم للوطن ، و أملهم بالعودة إليه ، مع الإيمان بحتميّة النّضال و المقاومة دون الاستسلام ، إلى أن يتحقّق حلم العودة ، و حالة الرّحيل من منفى إلى منفى ، ومن أرض إلى أرض ، تحرّك الذّاكرة الجماعيّة لحالة المنافي و المبيت في الخيام على قارعة الطّريق،

[1]- عبد القادر بن أعراب ، المنفى بين شهوة الـ"هناك" ووهم العودة ، مجلّة أمال ،العدد2 ، تصدر عن وزارة الثّقافة ،الجزائر ، ديسمبر 2008 ، ص 95 .

[2]- عبد الرّحمان علي عبد الرّحمان جعيد ، علي الخليلي أديبا ، ص 50 .

و تثير في النّفس الأسى العارم المشحون بالعاطفة ، فتجربة اللّجوء القسري قاسية باهظة الثّمن لكلّ من اكتوى بلهيبها ، فترتدّ صورة الوطن لدى الشّاعر ليرى سحر طفولته ، و ذكرياته التي تركها في وطنه السّليب .

و المنافي كما السّجون غربة في المكان ، و اغتراب في النّفس، تتخلّلها الحسرة و الخيبة ، و يملؤها الحنين و الشّوق الأبدي إلى الأرض و الأهل ، و الأصحاب و الخِلّان[1] .

و السّجن صورة أخرى من صور العدوان و الاحتلال ، التي يمارسها ضِدّ الشّعب الفلسطيني

بجميع شرائحه، حيث يعاني الإنسان الفلسطيني شتّى أنواع التّعذيب النّفسي و الجسدي، في سجون

و معتقلات العدو فَيقْبَع خلف قضبان السّجن أيّامًا ، و شهورًا ، و أعوام ، صابرًا ، يحلم بالحريّة و الانعتاق من جدران السّجن ، و من جدران الاحتلال الغاشم .

و تتجلّى صورة الحلم بالعودة من المنفى في قصيدة الشّاعر "سميح القاسم" بعنوان "عودة"، والتي يقول فيها :

و صاح "محمّد العابد"

[1]- حسين جمعة ، ملامح في الأدب المقاوم ، ص 68 .

بعيدًا . ميّتًا . حيًّا . قريبًا . صاحْ

خذي ميعادنا الخالدْ

خذي المفتاحْ

وعودي أنتِ للبيتِ

وخلّيني هُنا جسدًا

مسجًّى خارج الوقت

بلا قبرٍ، بلا كفنِ

سوى ما شاء لي موتي

و ما شاءت وكالةُ غوثهم من ضجّةِ الصّمتِ

وما شاءت جنازةُ عَربتي

في زهرة القندول و البرقوق و الزّوفا

و بضع زنابقٍ وأقاحْ

و صاح "محمّد العابدْ"

على أنقاضه جسدًا و روحًا صاحْ

خذي المفتاحْ

و عودي للمدى العائدْ

أنا سُجّيت من زمنِ

بلا قبر ، بلا كفنِ

بعيدًا خارج الوطنِ

خذي المفتاحْ

و حسبي أن تعودي أنت للوطنِ

و حسبي أن تكوني أنتِ في الوطنِ

و كوني أنتِ لي .. وطني ! [1]

فهو في هذه القصيدة يجسّد صورة اللّاجئ الذي يحمل معه المفتاح، الذي يشكّل أهمّ شيء يحمله اللّاجئ الفلسطيني معه في غربته ، عسى أن يعود يومًا ما إلى أحضان الوطن .

وعن موضوع السّجن يقول "سميح القاسم" :

خطأ ، في غرفة التّعذيب من أجل السّلام

فعلى السّجن السّلام

[1]- سميح القاسم ، سأخرج من صورتي ذات يوم ، مؤسّسة الأسوار ، عكّا ، ط1 ، 2000 ، ص 135 .

و على الأرض السّلام

و على السّجان و السّجن المسرّة[1]

و يقول أيضا في نفس الموضوع :

وأقمت حُرًّا في السّجون ، ولم أزل حُرًّا ، وقيدي مثقــل سجّــاني [2]

فهو في هذه الأبيات يبرز روح المقاومة و التّحدّي التي يتحلّى بها الإنسان الفلسطيني ، فحتّى وهو في السّجن لا يفقد الأمل و التّفاؤل ، و العزيمة .

وتجربة السّجن تترك أثرًا بالغًا في نفسية الشّاعر ، حيث الوحدة و الانعزال ، و ساعات التفكير الطويلة .

وهذه المضامين ، تعتبر أبرز الموضوعات التي يطرحها شعر المقاومة الفلسطيني ، عبر مراحل تطوّره ، حيث يتّخذها الشّعراء مادّة دسمة يطرحون من خلالها مختلف أوجه المقاومة ، لدى الشّعب .

[1]- المصدر نفسه ، ص 20 .
[2]- سميح القاسم ، الممثل ،مؤسّسة الأسوار، عكّا ، ط1 ، 2000 ، ص 73 .